

أمل دنقل

الأعمال الستة عشر للكاتب



www.egyptsons.com

أصل حنقل

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

مكتبة مربولي
المتاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٤٠٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونَبْضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انشب أظفاره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - لاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب
وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلنأخذ منبداً من
النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال :
ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل
دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى
الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت
الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ
خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن
يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن
أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة
لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى
إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوائب
الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن
أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها
المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء
الشاعر وبعبه أفقدتهم القدرة على الكتابة الشعرية أو
الشيرة على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل
واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني التبا
المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط
التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض
الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع
الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام
قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت
الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه
الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول
لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة
وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً
مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث
والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة
وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإني سأحاول اختيار أقلها

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثير أو انفعال يثير في نفسه ، الألم ، الأتني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بإبتسامة عريضة ثم سألتني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل إبتسامته المنكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها أمل دنقل أكثر من مرة وذات يوم رأيت كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدقم له ثمن الغداء . وعندما رأني توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سر شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطراف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة
الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخرين وتأثره بشعره
أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على
أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي
وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له
أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في
تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية
نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقريه
الشاعر من قريب فقد كرسَت المآسي العظيمة الشعراء
العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم
شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ،
وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ
قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت
خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دراويشه
(البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحدّيره عن مجرد التلغظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه
لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه
الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من
ملتقى أخوي . . وفي مائتة من عام ٦٧ وإلى أوائل
السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها
قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة
والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت
تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي)
الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى
المرعى ويحتلب الأغنام ويحرق أحلام الخصبان حتى إذا ما
اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه
روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاء
بالمرات والوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت
الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحذ لا أدب استسلام
ولطمخ حدود وبكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرته وتنامي أطماعه :

أيها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكوت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قول لي « أخرس .. »

فخرست .. وعصيت .. واتهمت بالخصيان

ظللت في عبيد (عيس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض الثمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعيت للميدان

أنا الذي ما دقت لحجم الضمان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيها النبية المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمير .. يطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذي يحنقني

« ما للجمال مشيها وفيدا .. ١٩ »

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول مصر - نخوة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من - أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

دسالي كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالكطة

تصبح (كافوراه .. كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارياً رومية

تجلد كي تصبح (واروماه .. واروماه) ..
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن .. !

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً مداه في محاولته الجريئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ، وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية التاريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق) حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشراً عن السياق الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته الفاضلة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريقي ان اكثري للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعبه خلف الباب .. متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضيك تهويد ؟
(نامت نواظير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تهجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق التيسيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن قرآن التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كامل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفوية المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقاته وتمرده ..

أطراف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشهرت معالم الأيام العربية ،
وحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
وكننت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
اختار مكاناً قصباً في الاستراحة جيداً وبعيداً عن
الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوجعاً لأن قصيدة
الرناء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليدد شحنة الغضب ثم
يعود إلينا ليعمل المكان بملاحظاته وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل
في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
الآداب بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
وينحسب ذلك التعامل على الآداب الملتزمين أو
المنسبين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة
كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة أيًا من
شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من مطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر بما اصطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - يحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل
طاقة حداثا واكتشاف خلافة فالشاعر ليس كمرقاء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنأت بالنكسة وبهت إلى ما حدث قبل أن
يجدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن عراة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

... لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
صلاح الدين .

كأن الليل داكماً مكتشاً حين رجف من حصل
... وكنت الأصواء الصفرء في أياديهم وانطرفت قد
... صمرراً وشحوباً وكان رميلاً الذي يقود سيرته
... سجع تلا عبه يردد القسم الذي أطلقه أمر دنقل ،
... منه بجلج معودة سياء وسقوط البجمة السدسية من
رق حائط المبكى إلى التراب . .

« امل دنقل وانثودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلمة ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحصوره فيصحت ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذ حار أنه كذلك ، يعتبره نخبه كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والسدال لايفقة والسيارات الفاخرة - دون واحد من موكب حلس للشعراء للصعاليك المعاصرين الذين يرمسون عن عالم المعربات المحتلهم وأن يطلقوا حنفاً نطافاً لا تأسهم ربة احبة الدب ولا تشدهم إلا بمقدار ما غلبهم معصيتها الصغيرة من الكناية والابذاع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية انحاء مصر العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم - لأصح لم يحفض بهم إلى مستوى الدح المادي والترف . حياتي ، وقد أنست الشعر على مر العصور بما في ذلك عصر الحديث أنه كليل بأن لا يقن اسراره العميقة ولا يصع باده المقدسة ، لا في النفوس الراحدة والقلوب البريئة من سطوعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات شعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مصاة تصرفهم عن شعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة شاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية شوبها لمعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقرر بيه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أحوار يؤسه الثلاثينات
والأربعينات وحفلت المقاهي والمستندات في تلك الفترة
بأحاديث يؤسه وعطارحاته وأهاجيه المتسوعة ، إلا أن
العراق بين الشعاعين كبير والعراق بين الصعلكتين أكبر ،
صحيح أن المؤس الذي عاى مه الشعاعان كلاهما متشابه
ويكاد يكون واحداً إلا أن يؤس الأول ذاتي وناجح عن هم
شديد إلى الحياة في حين أن يؤس الآخر عام وناجح عن
رهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأسواب
الواسعة إلى النعيم كما وحدها الثاني لما تردد عن دخولها غير
هيب ولا متخرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين
الشاعرين من تباين واختلاف وفصل عن هذا وذلك فإن
أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل
الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب
والهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم
المراحل السابقة كلها .

لقد اعق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

نحبي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث
نحبي احتلت والقصص من ارتيد المفهوى احتلف أيضاً ،
نحبي لتي تؤرق أمل دنقل ما كانت تشغله عمل دهر
عبد حميد الديب ، وإذا كانت قد حطرت على ذهنه فمقدر
كبير من العموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من
حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حوفاً بالذكريات التي
تتراكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها برورا
ووصوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في حدى
شقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون
مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في
ميدان المحوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع ريميه
لصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة
عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق
شاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد
عتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة
كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً بأعداد طعام العشاء

مع زميله ، وكما يقضي فترة انتظارها للطعام في حديث
 عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
 متواصلاً في كل يوم ولا يريد عن الطاطس وأرغفة الخبز
 وبعض الأوراق المصغرة . وكثيراً ما اضرب الساعات
 الطولية بعد أن يتناول الشعراء اليائسان عدداً مما أو
 عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كما نتوجه
 إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرفي لقضاء
 سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميله ، إذ غالباً ما ينضم
 إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرها
 من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
 بأحاديث الفكر والأدب وبروانع الشعر ، ولعل الفترة التي
 قصاها أمل دقل في شقة ميدان المعجزة أسوأ فترات
 حياته وأجملها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
 به وبرميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتادلا ارتداء قميص
 واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
 أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

، سرع من ذلك الحال وربما سبه فقد كانت تلك
 سوت هي أخطر وأهم سوات الانتاح الشعري وأهم
 سوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
 قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة فمرت به من بين
 شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصور وأحمد
 عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
 شعريين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
 حورية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
 شعر العربي بأكمله ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
 بمسارعتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
 بمها هذا المقطع الذي يتخاطب شاعر فيه مصر التي
 تعيش يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتعلمن
 الشعب :

اذكري ١١

فقد لوتني العناوين

في الصحف الخائنة

لوتني لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع

قبلها كنت أقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فأذكر بي ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي

وكأب العقيد . . . وزينة رأس السنة

أذكريني إذا نسيتي شهود العيان

ومضطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

(من ديوان العهد الآتي) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والعموض ، وأول ما يلفت الأنظار في قصائده البساطة

الحدادة المصقولة التي تتحول إلى أنشودة مفرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

شعره ، لكاتب المعان يحيى حني ، والبساطة عند ذلك

سبح نوقور - كما فهمه جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد

عن قواعد بغوية والخروج عن الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرقة والبسيط ، إنما تعني تلقائية التصور أو عفوية

البيان ، ولا تعتمد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

حريص بعمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نعر

سب من الكتاب . إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

يحدث . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

رس نجمة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن شعراء الدين سقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

سيدة الصحيحة إلى أن توقفت مع الرقة . وكانت

سأطه في التناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الإنساني والخراب والدمار وتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى باللفاظ

الشعرية . أو بمعنى المعقده ، وهو في ثمره القليل الذي
نصمته مقدماته المشورة في الصحف والمجلات لا تكف
عن المحكوم ، السافر الخاد على كثير من شعراء القصيدة
« المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاور يقف عند دائره
اللغة وحده وعد الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك
الصنع لا يريد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة
الواقع ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تعبير هذا الواقع
قد أدى به إلى أنواع من استحلاب وسائل فيه في ظل
حصارة محتدة ومحاولة فرصها على المجتمع الثقافي .
العربي . ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقبي ،
في حين أن طبيعته الأساسية هي في ارتباطه بالناس وقد
كان انصر شعر الحديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه
بالباس ، وتجوهم بالناسي معه ، وتخليهم عن الشكل
بقديم . وما يؤدي إليه هذا التجاور الحديث عن
منطلقات . ومن هنا فإن هذا التجاور للواقع يحتاج إلى
تجاوز لطرائق التقنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ،
واستحداث طرائق جديدة واستحلاب لمذاهب فيه ، أو

حوء إلى الاهتمام بمحاولة تغيير الواقع أو الاهتمام بالثورة عن
صريق ثورة شكلية فقط . . الشعر لا يلقي أسراراً
عميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الوجيهة وفي
قرب البرية من التطلعات المربصة ، أي تكون الثورة
عن مستوى الشكل فقط .

سنة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد
لأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو
لصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من
احزان أمة كبيرة أسيرة الخطبوط خطير هائل من المعاناة
والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ،
ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي
الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قومية مجردة عن
أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وإماتة
الحواس بدلاً من إيقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط
كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتحلى الشاعر عن

ابوقوف في دائرة لأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من
القبول المبتدئ أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع
في ما هو أخطر من هذه القبولات كالتشكيكية وتبريف
الواقع ، تلك هي ساطة أمل دقل التي جعلت من شعره
صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم من ذلك وبعد ذلك أن
نعلم أنه هو نفسه قد كان اشودة من الساطة والتواضع

تجديد التمرد في زمن الخنوع

قضية الاساءة إلى الشعراء ، وتكفيرهم ومحاوله
الانتقام من كسارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية
شعلت الجانب الأكرم من تاريخ الشعر العربي ، ولم سلم
في الماضي من تهمة الرديفة والاحاد سوى صغار الشعراء
ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء ، وقد
شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت مد
وقت قصير رسالة من نايت صديق نشعله القضية وبعد
عنها رسالة دكتوراء ، يعكف عليها مد خمسة أعوام ، وقد
لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

من لأسباب الكرامة وراء محنة الشعراء ولهذا الشعر .
ت ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القضاء
من - راحة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير
من هم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة و
جفت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب
من هب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عد
عصور - أكثر حدة فلم تذبح التهم الكبيرة فيلسوفاً وأ
دنت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا
من هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتور
عن الإجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء
أحياء وعند بعض الأدباء الذين توارقهم المحنة التي
سحبت إلى عصرنا من سليات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكرى
محنة صديقي الشاعر أمل دقل فقد عانى بالاضافة إلى محنة
عقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير
بمع محنة التكفير ، وكانت قصيدته و كلمات سار تاكوسم

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها » زعماء عساكر
التفتيش ، على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى
التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي
امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة
بأنسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر إثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) .. فلم يمّت ،

وظل روحاً أبدية الألم !

المجد لها ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنه
للشيطان (سارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي
اشتقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر)
وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه
الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى
الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محكمة التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجّد ابليس وأنه بذلك
مدح كبر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار
حزب هؤولاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل
حق والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر
رسعة الأرحاء ، وظلت تتردد هماً في دهايز الكراهية
حين رحل الشاعر عن عالم الحقد والظفان وأخذ الله إلى
حوراء الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع
لاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي
تسير في الشوارع غنية الظهور مثقلة الأعناق كتطبيع
لأعنام ، لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة
وشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (١٩٩٩)
تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها
أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حق
ون كانت العقابة لا تختلف كثيراً عن عقابة ذلك الثائر
لمعلق في مشتقة على مدخل المدينة الظالمة :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الدين يعبرون في الميدان مطرقي

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تمجّلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معتقون جانبي .. على مشائق القبصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني

يشتم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن ظهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر

الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور

الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

متيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل

ولو أن يستمعفروا لدسهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين

ب قتل المواهب ؟ كـن الشاعر متهماً منذ كان متنبئ

بيلة وصوت احرائها ، ورجل ندين يتهمونه بالتحديف

الحادث ورجل السلطة يتهمونه بالخروج على النظام

عليه الاستقرار ، الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي

العصر حديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور

برات العصر ونظوراته .. في مواجهة جدار اليأس

حباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر .. كي نثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره ١

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. ١

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير الافتتاحية
لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)
ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة
الدِيَّان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص
بمراة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال
الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجهه
الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور
ويمنع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس
منذ البداية الشعور البائس المحيط ، ولكنها في الوقت
ذاته تكشف عن استعداد شعاع وهرى لمواجهة هذا
الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأنني بالشاعر في بداية
حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن
تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر
بالزهول لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ،
فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة حتى

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري لمحكوم عليه
حمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم
يمود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة
عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي
معنى لحياته التافهة لمكرورة إن خلت من هذا
العذاب المضي الرتيب . وأي عذاب للسان بدون
هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح
عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل
والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل
دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق
شلاله للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر
والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى
أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير
المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل
ابناؤها هكذا حيارى يفتروهم الارهاب وتتقاذفهم
المحوم إلى نهاية العالم .

أخيراً أي شعور حزين يعم
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ،
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الإهداء

إلى الاسكتلندية
ستوات الصبا !

حسُّ حال عبيد
 شيءٌ دحلي يبكى
 حسَّ خطيئة الماضي نَعُرْتُ بين كعبيك
 وعقوداً من التفاح في عينيْن خضر اويي
 ألسي رحلة الآثام في عينيْن فردوسين ؟
 وحتى أين ؟
 تملّذي خطيئتي .. بعيداً عن مواعيدك
 ونحرقني اشتهاً في قريباً من عنائك !
 وفي صدري
 صبي أحر الأظفار والماضي
 يخطط في تراب الروح ،
 في أنقاض أنقاضى !
 وأنظر نحو عينيك

فترعشني طهارة حب

وتفرقني اختلاجة هذب

والمح — من خلال الموج — وجه الرب

يؤنسي

على نيران أنفاسي يقلبني

وأطرق ...

والصراع المر في جوف يعضني !!

... ..

أحرق في عطنوني الصيف في شفتيك :

يموي داخل الحرمان

(هيب آدمي الشوق ، مصباحان يرتعشان)

وأهرب نحو عينيك :

بطالعتي الندى والله والغفران !

وأسقط بين نهديك

لتحترق الروعي

وأغرق فيهما بالنار والشك

فمدوى رغبتي شيا

وأغمض عنك عيني

وأسند رأسي الملقوح في صدرك

فقد ترمد الأفكار في جهرك

وأحرق جنة المأوى

... ..

فيا ذات العيون الخضر

دعي عينيك مغمضتين فوق السر

.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت بحس سنوات على الوداع ولجأه رأى طفلتها !)

لأنقرى من يدي مختهبه

.. نحت النار بحروف المدفأة |

أنا ..

(لوتدريين)

من كنت له طفله

لولا زمان فجأه

كان في كفى ما ضيعته

في وعود الكلمات المرجأه

كان في جنى

لم أدر به !

.. أو يدري البحر قدر المؤلوة ؟

- عرفت عمر صائع من شباني

- وب نخطئة

- مر بعام

- مهجتي عاماً

- نعت صدأه

- حمل من الماضي

- ذكريات في الأسمى مهترته

- نى باندجى

- حنى للذى ضل ساء ..

حه "

• • •

حيوب الواسعات اهادئة

- شماه الخلوة الممتلئة :

حه طفليته

- كرها

وهي عن سبعة عشر منبقة

إنني أعرفها

فأقترن

فكلانا في طريق أخطاه

سأقني حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدته

فأهمني بأطفلي

(مند مضت ... والتهامات الضحى مطفعة)

لثري

(صوتك موسيقى حكمت صومها ذا البرات المدفعة)

— « إحللي لي أحجية »

— لم يبق لي جعبي

غير الحكايا السيفة

فاسمعي يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطله

.....
« كان يا ما كان »

— حتى

— حتى يمشي إلا .. صداه

— ت ثعر يشقى قبلة الشمس

— ر صباه

— حب بها ؟ واستسلمت

— ر حب به ؟ فاستمرأه

— قد صعدت مركبه

— حتى

— قصة مبتدئة

— هو في شرفته مرتقب

— هي في شاكها .. متكئة

— حة سقسق

— ينشى حلم

— وحلم بداه

— صعبا

— سمة ..

— سمة ..

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مبتسماً
فأشاحت به
كالمستبزلة
اشترها في الدجي
صاغرة
زغت السبعة عشر .. للفة
لم يكن شاعرهما فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهبة

• يكن يملك إلا مبدأه
س إلا .
كنمات مطعة

• • •

أترى تدريس من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطاه !
والتي بيعت ولي معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة ؟
ومن النخاس ؟
هل تدريته ؟
وهو ملاح تناسى مرفاه
اننى أكرهه
يكرهه ضوء مصباح نيل أطفاه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وَبُتَّ يَا حَبِيبِي
صَبْرٌ عَلَى سَفَرِ

• • •

وَيَرْحَلُ الْمَطَرُ
وَيَدْبُلُ الشَّجَرُ
وَيَهْمُرُ الْفَهَارُ الْقُفُوشَ وَالصُّوَرُ

وَيَهْبِطُ الْأَحْرَارُ
فَتَمُحِي الْأَلْوَانُ
وَالْقَلْبُ

وَالْخَطُوطُ الْعَرَجَاءُ
وَالْأَسْمَانُ

وَيَنْخَرُ السُّوسُ الْقَدِيمُ فِي الْعِيدَانِ
وَتَرْحَلُ الطُّيُورُ الزَّرْقُ
بَلَا عَوَانَ

تَسْأَلُ عَنْ هَوَانَا
تَسْأَلُ عَمَّا كَانَ

.. مَا كَانَ يَا حَبِيبِي
حَلْمٌ ؟ وَقَدْ عَمِرَ !

• • •

وَيَهْرُلُ الْمَطَرُ
وَيَرْحَلُ الْمَطَرُ
وَيَهْرُلُ الْمَطَرُ
وَيَرْحَلُ الْمَطَرُ
وَالْقَلْبُ يَا حَبِيبِي
مَا رَأَى يَنْتَطِرُ

قلبي .. والعيون الخضر

- ١ -

صبياً كان

شدت على يديه القوس

أعلمه الرحمة

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما ائتمد ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

بجمع بيننا ليل ، وفصلنا نهار قتال

تطل على — خلف لثامه — عينا خضراوان

(كأوردية تلون بطل ركية عاس عصماء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة ا

.....

ثلاث سنين

ينزلني ، أنارله

دث ساحن ، وغبار

عرف على الفم المزموم ،

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرتين والأثواب

أشاحت عنى العينا

وكنت تراب

وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر ا

ولى كفى بقايا سهم

.....

.....

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تمنى لعرش الشمس

وقلدنى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضر »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضر »

وقريتنا — وراء العين — توراة من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نقابه المعتل

وطفل شاحب ينهض

ترغرد سوسة لختائه المدسوس في جنبابه الأبيض

وفوق الجسر

علام لاهث يعدو

يمسك مهرة فرت وفي سيفانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق محروطة الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب نهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تضم عباهنى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تسمنا قلاع الحب والحكمة

ولكنا على الأبواب

أطل تنوء

كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكر

عن العجلات مد لسانه الموبوء

تفاوت فيه مركبتى

فقد ياصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تفاوتيا

بلعنا قمة القمة

لنهب في انحدار الجانب الآخر

ومن عفره الى عفرة

تلقانا تراب الأرض في راحاته البيرة

ودارت قهوة المولى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عفرت على حطام الخنجر المسموم
والقماز !!

يا وجهها

.. - ستقى سهو

.. -

.. -

..

.. - سبته ، شذو

.. - رحدث

.. - من شدة الصبا . هو

..

.. - عوى

.. - من رداء والخبوى

.. - من سمائك الشحو

.. -

..

.. - حي عندك

الضيف فيك يعانق الصحوا
عينك ترتعبان في أرجوحة
والفر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنه الشكوى

في الليل افتقدك
 فقصي في قسما لك النشوى
 تأتي شجول البوح مرهوا
 وعز نراع الشوق استبدك
 وأحس في وجهي لظى الأندس
 حير يلفني رعديك !
 وأمام !
 تحماني رؤاك لنجمة قصوى
 تفرق الخلقوا
 تحكي ، فأرشف همسك الرخوا
 ويهزني صبحوى .. فافتقدك
 لكن بلا جدوى
 بلا جدوى !

محبوبه محرمه
محبوبه محرمه
محبوبه محرمه
محبوبه محرمه

— 'حقك
— 'حقك

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة .

« قتل القمر » !

شبهوه مصلوباً تنسل رأسه فوق الشجر !

نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضربير

ويقول جاري :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارثنا الصبية :

— « كان يهيج شغاف في المساء

وكان يهيمى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند باندق — قبيح المجر — يصيح لعناء ..

.. من كل لعيون
.. صرصر قمر

.. مات !

.. نثي عذرت به

..

..

.. عيني عيني

.. فارقه !

.. مدينة

.. وريتنا بكم مات

.. ألباء المدينة

.. عليه دموع إخوة يوسف

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضعية
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

يقص لنا حكايته الخزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسليت جفنيه على عييه حتى تدفنه !

قالوا : كفك ، اصمت

فانك لست تدري ما تقول

قلت : حقيقة ما أقول

قالوا : انتصر

لم تبق إلا بضعة ساعات .

ويأتى !

• • •

حط المساء

وأطل من فوق القمر

متألق البسمات ، ماسق النظر

— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا : قتل القمر ،

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونغد الأبدى
بجمعها حب
وتفرقها .. طرُق
..
.. ولأنت جوارى ضاحكة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يفزله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخون جفونا
أغرقها سحر
فطفا فيها الفرق
وشبابك حان جيلُ
أرز ، وغدير ينبثق

وسد دهمي وحدي
مصصح منه ومعي
وتعوض بقسي سنوته
تدفعني حيث .. فننتصو
وأمد يدين معربدتين
فتوبك في كهي ..
مرف
ودراعك يلتف
وسهر من أقصى الغاية يندفق
وأصمك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
..
وتعوت النار
ففرقها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهك ذابة
وشمارك نشوى تدلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة
عطاها الورق

وغير الوقت فلا بدري
ويقيم مخافه الشفق
وتدق الساعة معلنة
فهب بنا صحو قلق
وعجز وداع
وقتي

وأراه كحللم ينسحق
يرتد الصمت لموصعه
ويعود إلى الأدن الخلق
ولمجد الأبدى
راعمة

نتشاكى العتب
وتنزلق !

وأحس بنبيء في صدري
شيء .. كالفرحة
بمخرق !

قالت

قالت : تعال إليّ
واصعد ذلك الدرج الصغير
قلت : القيود تشدني
والخطو مضني لا يسير
مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت
وقد أخور
درج صغير
غير أن طريقه .. بلا مصير
فدعى مكاناً للأسي
وامضى إلى غدك الأمير
فالمر أقصر من طموحي
والأسي قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل
قلت : يا معبودي لا تنزلي لي

قالت : سأزول
قلت : مخطوك منته في المستحيل
ما نحن ملتقيان
ورغم توحد الأمل النحيل
... ..

نزلت تدق على السكون
رلين ناقوس ثقيل
وعيوننا متشابكات في أسمى الماضي الطويل
تخطو إلى
وعطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل
وبكى العناق
ولم أجد إلا الصدى
إلا الصدى

ماريا

ماريا : يا ساقية المشرب
ابينة عيد
لكم نحى جمرات اشتيد !
صبي المشوة غدا .. غدا
صبي حبا
قد جئنا اليلة من أجلك
لريح احمر انتشرد حنف شعاع احب المهنت
في ظل الأهداب الإغريقية !
ما أحلى استرخاءة حرن في ظلك
في ظل اهدب الأسود

— ماذا يا ماريا ؟
— الناس ها كانوا هنالك في اليونان
بسطاء العيشة ، محبوبون
— لا يا ماريا

نأس ها - في المدد الكرى - ساعد

١ تتحلف

٢ تتوقف

٣ تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماري

لن نريد حديثاً مرشفاً منه السيان !

... ..

ماذا يا سيده السبعة ؟

العام القادم في بيتي زوجة ؟!

قد صاغت يا ماري من كنت أود

ماتت في حصص آخر

بكر ما فائدة الذكرى

ما حدودي الحرب مقعد

عن جميعاً تحب ضوء الشمس وهر

كفى يا ماري

لن نريد حديثاً مرشفاً منه السيان

... ..

قولي يا ماري

نوما كنت رماناً طمعة

يبقى الشعر على جبهتها ظنه

من أول رجل دخل الحنة واستنقى فوق الشيطان

عنقت في جبهته من ليست حصنة

قص الشعر بأور قيمة

وما عيت لأور حب

غنيها يا ماري

أغنية من سنوات الحب العذب

... ..

... ..

... ..

ما أحلى العمة

لتكاد تترجم معناه كلمة . كلمة

عيناها ثابته عرو

(أوف

لا تنحهم

ما دمت حوارى ، فلتنسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهي النور

شعناى بيد معصوّر
صدري جنتك الموعودة
ودراعى وساد الرب
فتيسم لحب ، نسيم
لا تنحهم
لا تنحهم)

.....
ما دمت جوارك يا ماريا لن أنجهم
حتى لو كنت الآن شهاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عيني نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى
والأشواق
تمضى ، وعرفت الأطرار
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق فى جدنى فيضان الأمس
.....

قولى يا ماريا
العام القادم يصير كل منا أهله
كفى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكم الليلة محرومون
صبي أشجانتك بحياً .. بحياً
صبي حيا
دنيا ورفاقى
قد جفنا الليلة من أجلك !

استريجي

استريجي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدي تلك المسوح المزيمة

واكتشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وعطية

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وريه

• • •

لم تكوني أبداً لي

إنما كنت للحب الذي من سثرتين

قطفت التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى

ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقدنا دمعاً حمراء

بين الرلتين

وأنا ؛ قلبي مدبل هوى

جففت عينك فيه دمعتين

وعمت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

في ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضللاً شبحية

فاستريجي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصى

كنت تحشين من اللمسة

أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الحمس معي

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاستريحى الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المشرق

كيف أفضيك عن النار

ولى صبرك الرغبة أن تحترق ؟

كيف أذهلك من النهر

ولى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبك حقاً

إنما لست أدري

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاستريحى ، ليس للدور بقية

العار الذى نطقه

هذا الذى يجادلون فيه

قولى هم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أجهنم ألقياه فوق قمم الجبال كى يموت !

لكم ما مات

عاد إلينا عنصوان ذكربات

لم تجترىء أن ترفع العيون نحوه

لم تجترىء أن ترفع العيون

نحو عارنا المميت

• • •

ها طفلنا أماننا غريب

ترشقه العيون والظنون بازديادها

ولنحنا لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دعنا

كننا مددنا نحوه اليدا

لكنه .. ما زال يقطع الدروب

يقطع الدروب

وفي حيوتنا الأسمى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه بردى

لحن اللذان ألقياه للردى

وهذه المرة لن نضيقه

ولن نتركه يتوه

نأديه

قولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفع

وبالسممة والحليب

قولى له أنى أبوه

(هل يقتلنى ؟) أنا أبوه

ما عاد عاراً نتقيه

العار : أن نموت دون ضمة

من طفلنا الحبيب

من طفلنا « أوديب »

رسالة من الشمال

بعمر — من الشوك — مخشوشن

بحرق من الصيف لم يسكن

بتجويع حب ، به كاهن

له زمن .. صامت الأرغن :

أعيش هنا

لا هُنا ، لاني

جهلٌ بكينونتي مسكني

غدى : عالم ضل عنى الطريق

مسالكه للسدى تمنى

علاماته .. كائناتالوضوء

على دنس متني .. متني

تفح السواسن سم العطر

فأكفر بالعطر والسوسن

وأفصد وهمي .. لأمتصه

فيحتصني الوهم ، يمتصني ..

• • •

ملاكى : أنا فى همال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذباب انتظاراً ، وتمسحو
جهود موائلها الخوف
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرشد ابتسامتى على كل وجه
نوسد فى دهنه اللين
ويهرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطى ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضعيل —
الى حيث لا عابر ينشئ
هى اسكندرية بعد المساء
شائية القلب والهضم
شوارعها لهاويات المدى
سوى : حارس فى لا يعنى
ودورة كليين كى يسلا
ورائحة الشيق المزمز
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عندي

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحى عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعيناك . فيوررتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكرأ لى سوى خلجة
من الهدب قتت ها : هيمى
هوى به الشمس تبيدة
إلى اليوم بالموت م تؤمن
وكانت لما خلوة ، إن عدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تجمع إلى صمتها المؤمن
حكياً ها ، وقرأ ها
صوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا فلى جعنتى
حكايات حب سى ، سى
صقلت به الشمس حتى عدت
مرىبا مساء لثربى
وصفت لك النجم عقداً من
الماس شع على صدرك المفتى
أردتك قبل وجود الوجود
وجوداً لتحليده لم أن
تغربت عنك ، لحيث الحياة
مناجم حلم بلا معدن
ودورة كليلين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمز

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
مشارك للصيف لم تعلن
صممت لصدرى تصاویرنا
تصاویر تهكى على المفتى
سأتى إليك أجر المسير
حطى فى تصلبها المدعن

سأتى إليك كصيف تحطم
فى كف فارسه الشحن
سأتى إليك غيلاً .. غيلاً
كخيط من الحزن لم يحزن
. . .
أنا قادم من شمال الشمال
لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه

فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب

من أجل الترفه

(والأوتوجراف المصامت تهذل الكلمات عليه ،
تحية

ونظير كل مثابه !

ماضيك

— وماصى الأوتوجراف —

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وحصى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه

لكى أطرده كل دباب الماصى عن بابى

فدعوه

غيرى قد يصبح سطرّاً من ورقى

يقليه من يجهله أو من يدريه

غيرى قد ينشئ تابوتاً براق اللون

تضمن خافيه

لكنى أطرده كل ذباب الذكرى

عن غدى المشبوه

عن ثوبى ، وطلماسى ، وفراشى

عن عطلوة تبنى

.....

يا أصغر من كلماتى

لن أكتب فيه

محطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

انتظري !

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الرى

أشبهت في تصويرى

(بوجهك المذوق)

حبيبة أدكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسر

حبيبتى — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عمونها حدائق حافلة بالصوير

أبصرها اليوم يمينيك

اللتين صبتا في عُمرى ..

طفولة .. منذ اقتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مرت ولستنا نلتقى

مرت .. ولم نخوض

الماس في مناجى

مشوه التلويح

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات الفجر

• • • • •

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجرى

أيقنت أن ماسنا ما زال

حتى الجوهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنتى في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أبخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مفترباً عن العيون الخضر والشعر الثرى

العينان الخضران

العينان الخضران

مروحتان

في أروقة الصيف الخراس

أعينتان ماضيتان

أجرتنا من نايات الرعيان

مغير حمال

بعزاء من آفة النور إلى مدد الأحزان

سنتان

وأنا أبى زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كفى أبحر في العينين الصافيتين

للى جزر المرجان

ما أحلى أن يصطرب اموج فيسدل الجفان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عبده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم نُشر مائدة حونا !
لم يستضئنا المقعدان !!
الجليليان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري !
قهوتنا باردة
وبداننا — حولنا — ترتعشان
وجهك الفارق في أصباغه
وجهي العارق في سحب الدخان
رُسمًا

في صمت ، الكائناتيات . الوستان
صور ، للعدراء ، المسيلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة العفران
ونظتى في عينيك المسيلتين
شباب الحرمان
رُدى جميعك
لأبصر في عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعبون حبيبي ؟
كعبون يبحر فيها البحر بلا شيطان
يسأل عن حب
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعيان الخضراوان
مروحتان !

(ما أجسما !)

في لوحة خانت الرسام فيها ..

لمستان !!

تُسلل الأستار في المسرح

فلنضيء الأنوار

إن الوقت حان

أمن الحكمة أن نبقي ؟

سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان ا

قد خسرنا فرسينا في الرهان

مالنا شوط مع الأحلام

ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً

وكان

وهج النور علينا مهرجان

يوم أن كنا صغاراً

نمتطى صهوة الموج

إلى شط الأمان

كنتُ طفلاً لا يعي معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان

قطعة معمضة العينين

في دمك اليكر - هيب الفوراق

عامنا السادس عشر :

ربعة في الشرايين

وأعواد لدان

هاهنا كل صباح نلتقي

بيننا مائدة

تندى .. حنان

قدمانا تحتها تعشقان

ويدانا فوقها تشبكان

إن تكلمت :

ترئمت بما همته الشفتان الحلوان

وإذا ما قلتُ

أصغت طلعة حلوة

وابتسمت عمازتان !

أكتب الشعر لجوارك

(وإن كان شعراً يفتأ البيان)

كان جمهوري عينك !

إذا قلته : صفقتا ترسمان

ولكن ينصحننا الأهل

فلا نصحبهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أبى

ليس تنهاك عصا من خيزران ||

الجنون البكر ولّى

وانتهت سنة من صمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ صف الثمر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الحمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. ميوط المنفوان

الخرقنا ..

(هون أن نغضب)

لا يغضب الحكمة صوت الهذيان

ما الذى جاء بها الآن ؟

سوى لحظة الجين من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى في دمنّا

لم يزل يحبو ..

ويكبو ..

فيعان !

لحظة فيها تناهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خنان

أمن الحكمة أن تبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا في الرهان

• • •

قبلنا يا أخت في هذا المكان

كم تناجى ، وتنأى عاشقان

دعنا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آعراان !
فلندعه ههما
ساقية ..
دار فيها الماء
مدار الزمان !!

الملكوت بين يدي زرقاء العجامة

آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق .
ربما تنفق كل العمر .. كي تنقب ثعره
بحر النور للأجيال .. مره !
.. .
ربما لو لم يكن هذا الجدار ..
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مارن جودت أبو غزالة »
عرفته في سنوات السّاقول
رجل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذي يموت فيه .
رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..
مكتفياً .. يفرز فيها شفتيه ،

وهي لا تردُّ قبلةً .. لفه !

نتوه في القاهرة المعجوز ، نسي الزمنا
بعثت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين
نُظنا محطة المترو مع المساء .. متعين .
وكان يبكي وطناً .. وكنت أبكي وطناً
نبكى إلى أن تصبب الأشعار
نسألها : أين خطوط النار ؟

وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك . أم هنا ؟

• • •

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا يدوق جفنى وسنا

أنظر في ساعتى المعلقة في جوارى

حتى تحيى . عابراً من نقط التعتيش والحصار

تسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شح

من بعد أن تكسرت في « النقب » رايتك !

تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »

« أين رصاصتك »

ثم تغيب : طائراً .. جريحاً

تضرب أفتك الفسيحة

تسقط في ظلال الصمة الأخرى ، وترجو كما !

وحين يأتي الصبح — في المديح — بالبشائر

أزيع عن نافذتى الستائر ،

فلا أراك .. !

أسقط في عارى . بلا حراك

اسأل إن كانت هنا الرصاصة الأولى ؟

أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكونس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. محبوب الرياح
من قال : لا ، في وجوه من قالوا : نعم ،
من عَلَّمَ الإنسان تمزيق العلم
من قال : لا .. فلم يَمُتْ ،
وظل رُوحاً أبديّة الألم !

(مزج ثان) :

مُعَلِّقٌ أنا على مشاقق الصباخ
وجبهتي .. بالموت .. محنيّة
لأسى لم أحبها .. حَيّة !

...

بالحوالي الذين يعبرون في الميدان مطرقيّن
متحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكنلو الكبير :

لا تخجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلى

لأنكم مسقون جانبي على مشاقق القيصر .

فلترفعوا عيونكم إلى

لربما . إذ التفت عيونكم بأسوب في غيبى .

بتسم النساء داخل .. لأنكم رفعم رؤسكم . مرة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يوللون في مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول : لا ، لا يرتوى ، لا من الدموغ !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبّوا روجانكم . ها . على فدرعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

هالاعناء مُر ..

والصكوث فوق أعناق الرجال يسبح نردى

فقبّوا روجتكم . إلى تركت روجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الاعناء !
علموه الانحاء !

الله لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء اطيعون .

هم الذين يريون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشفقون !
فعلّموه الاعناء .

وليس ثمة من مغر .

لا حسيباً بعد سعيه

مختلف كل قبصر يموت : قبصر جديد !

مختلف كل نائر يموت : أحرار بلا جدوى ..

ودمعة سدى !

(روح نيك)

ينحصر العظمة قد أحصأت . متى أعرف

دعى — على مشقتي . أنتم يدك

ها أبدأ أقبل الحبل الذي في عنقي ينفذ

هو يدك ، وهو يحبك الذي يحبراً أو يحبك

دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتي — جحمتي

نصوغُ منها لك كأساً لشرايك القوى

.. فإن فعلت ما أريد :

إن يسألك مرة عن دمي الشهيد

وهل ترى مسحتي « الوجود » كي تسلبني « الوجود »

فقل لهم : قد مات .. غير حاقده على

وهذه الكأس — التي كانت عظامها جحمتة —

وثيقة الغفران لي .

ياقاتلي : إلى صفحتك عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مسي :

استرحت منك !

لكني .. أوصيك إن تشأ شق الجميع

أن ترسم الشجر !

لا تقطع الجنوع كي تصيبها مشانقا

لا تقطع الجنوع

فربما يأتي الربيع

« والعالم علمٌ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهة الثمر !

وربما يمرُّ في بلادنا الصيفُ الخطيرُ

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الطلال

فلا ترى سوى المهجير والرمال والمهجير والرمال

والظلمة الناري في الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء في الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياحقوقي الذين يعبرون في ابيدان في الحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تحملوا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد .

وإن رأيت في الطريق « هانيبال »

فأحبروه أسي انتظرتة . مدى على أبواب « روما » المحمّدة

وانتظرت شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

وسوء الرومان بين اربة المعبدة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

فوى العروس الأطلسية المجددة

بكى « هانيبال » ما جاءت جموده المجددة

فأحبروه أسي انتظرتة .. انتظرتة ..

كبه لم يأت !

وأسي انتظرتة . حتى « شبت » في حبال الموت

في مدى « قرطاج » بالمر تحترق

قرطاج « كانت صمير الشمس : قد تَعَمَّتْ معى الركوع

« مكموت فوق أعماق الرجال »

« الكلمات تحترق

« احقوق قرطاج العذراء تحترق

« فقلوا روجاتكم »

« بركت روحتى بلا ودع

« وإن رأيت طعنى لدى تركته على دراعها بلا دراع

« معموه الاحياء ..

(نبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذي لا يفتح

الأرض مازالت ، بأدبها دم من قرصها اسرّوج ،
قهقهة النصوص تسوق هودجها وتركها بلا رائحة ،
تشد أصابع العطش المنبب على الرمال ،
تضيق صرغتها بمحممة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وتوحف في شهب القنيط ..
تسأل عن علوبة نهرها ..
والنهر سمنه المغول
وعيونها غيبو من الاعباء ، تستفي جنود الشوك ،
تتظر المصير للثر .. يطحنها الدبول
.....
من أنت يا حارس ؟

إلى أنا الحجاج ..

عصبي بالتاج

تشرّبها القارس !

الأرض تُطوى في بساط : النقط ،

تحملها السمائم نحو : فيض ، كي تكون ذات فتحت
اللقائف :

رقصة .. وهدية للنار في أرض الخطاة .

ديارها القصدير معهور على رجائها .

رُكّارها الملول يسأل عن زناة الترك ،

والسياف يجلدها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارها .

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يعمل عارها القاسى .. ولا ماء العرات !

حتى لروحة نهرها الدموى ،

والأموى يقمى في طريق النبع :

.. دون الماء رأسك يا حسين !

وبعده يتملكون ، يصاحبون آثر من الشهداء .

ولا يتورعون ، يؤدون العجز .. لم يتطهروا من رجسهم ،
فالحق مات !

هل ثبت التفقى

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

أحييت فيك المجد والشعراء ..

كفى الذى سرواه من عكبات الوهم :

يمشى في مدائنك المليقة بالذهب

يسقى القلوب عصارة الخدر الممق ،

والخطوب يس التى رعت تقاويم الخوئيط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر الياشين التى يسخوها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

أكل عام : نجمة عربية عوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواضع الخصيان باسم الجالس على الحراب ؟

وأراك .. و ابن حلول ، بين المؤمنين بوجهه القرحى ..

يسرى بالوقعة فيك ،

والأنصار واجمة ..

وكل قريش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ! ؟

ملكما يحطو ..

قد شوّهته البار !

هل يصلح العطار

ما أفسد التمهط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرس :

هل يلد الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء الجمالة

أيتها العرافة المقدسة ..

حسّ إليك .. متحماً بالطعنات والدماء

أرحف في معاطف القتل ، وفوق الجثث المكذبة

مكسر السيف ، مفتر الجبين والأعضاء .

أسأل يازرقاة ..

عن فعلك الياقوت عن ، نبوة العزاء

عن ساعدي المقطوع .. وهو مايرال ممسكاً بالراية المنكّسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. منقاة عن الصحراء

عن حارثى الذي يهيم بارتشاف الماء .

ينقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يازرقاء ..

عن وقفتي العزاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفرار ؟

كيف حملت العار ..

ثم منيت ؟ دون أن أقتل نسي ؟ ! دون أن أهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من عبر التربة المدسة ؟ !

تكلمي أيها النبية المقدسة

تكلمي .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تعمضي عيبي ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمي ... لشدّ ما أنا مُهاج

لا اللبل يُخفي عورتي .. ولا الجدران !

ولا احتشائي في الصحبة اتني أشدّها .

ولا احتشائي في سحائب الدخان !

.. تقهر حوى طعنة وسعة العين . عدة المشاكسة

(— كان يُقصُّ عليك يا صغيرتي . وبحر في الخنادق

ففتح الأزرق في سترتنا . وسد البادق

وحين مات عطشاً في الصحراء المشمسة ..

رطب باسمك الشقاء اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفي وجهي المثهم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ؟ !

• • •

أيها النبية المقدسة ..

لا تسكبي .. فقد سكّنت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قبل لى ؟ انخرس ..

فخرس .. وعيت .. واتممت بالخصيان !

ظللث في عبيد (عبي) أحرس القطعان

أجتز صوفها ..

أردّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض الثمرات اليابسة .

وها أنا في ساعة الطمان

ساعة أن تخادل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقتُ لحمَ الضأن ..

أنا الذى لا حولُ لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالسَ الفتيان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى الحياة !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمئة .. يقلب المزيء .

أسائل الصمت الذى يهتفى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ؟ »

« أجندلاً يحملن أم حنيدا .. ؟ »

فمن ترى يهتفى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل القيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ؟ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ؟ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار ..

فأهيموا عينيكم ، يازرقاء ، بالبوارج !

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

رحم فوجئوا بحمد السيف : قايمصوا بنا ..

والمسوا النجاة والقرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والفم .

لم يبق إلا الموت ..

والخطام ..

والدمار ..

وصية مشردون يعبرون آحر الأنهار

بنسوة يسفن فى سلاسل الأسر ،

وفى ثياب العاز

مطاطفات الرأس .. لا يمكن إلا الصرخات الناعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والمرهات القارهاث .. والأزماء !

فأين أعفى وجهي المشوها

كفى لا أعكر الصفاء .. الأبهة .. الموهبا .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا أيلول

لم نترك الطعنة

فحلت النعنة

في جيلنا المظبول !

... ..

قد حلت اللعة

في جيلنا المظبول

فنحن يا أيلول

لم نترك الطعنة !

... ..

... أياكي في هذا العام

جمع عه في السحن قلوسة الاعداد

سمعت من سترته الرقاء .. الأرقام !

... في الأسواق : يبشر بسوته الدموية

... أن وقع على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس متكففا

... عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يتفوح حين نراه !

... ..

قال .. فكممناه ، فقأنا عييه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدحمة

(صوت) :

ونسينا يا أهول الكلمة

في سورة

كانت تنهاوى رايات أمة

ومعناها علماً علماً .. ووقعا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا نتنظر زناد بن أبيه

نيمود ، فينقذنا مما تسربل فيه .

كنا فبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تمو في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظلك منتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صبايح عاصف

كنا نشرب حين أننا الأبناء

.. فتمكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعة !

الأمرء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا الداخل

يعبر بحر الدم !

... ..

لم يبق إلا الداخل

يعبر بحر الدم !

والأمرء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا الداخل

(٣)

لو ررت دمشق

لوقفت على أبواب المزهة ولتأبعت

الطرق

ودلعت الى عرفات التعذيب ..

(صوت) -

ورأيتك تضحك يا أهول وأسم على

الأعشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هببات ما بين

الدعشة والتكذيب

وحشوت جراحك بتاب الأرض ..

وللقفتك في الرايات المشكوة

وحملتك حتى ولزستك في مقبرة

العصمت .. وراء الشقي .

لكني أسمع صوتك في الليل ، تضي

يا أهول

في ضجة المديح

يخلف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كفى نهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كفى نهف الأسماع ؟

فضجة المديح

تخلف صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

تجعل من تحويرات عظام الموتى : قصبات
الأرغول
فيجيء غناؤك . مجزوا بنحيب !

فمن يقول الصدق ؟

... ..

(صوت) :

نتظر الريح

من كل صريح

.. ..

من كل صريح

نتظر الريح

... ..

(سبعم ١٩٦٧)

السويس

(١)

عرفت هذه المدينة الدجاجة
مقهى قمقهى .. شارعاً قشارعاً
رأيت فيها (البشمك) الأسود والبرقعا
وررت أوكار البعاء والبصوبة
على مقاعد محطة الحديدية
تب على حقائق و نسبة الزوى
(حين وجدت ممدد سبي مأهولا ؟)

وانقشع الصباب في العجر . فكشفت البيوت والمصاعا
والسفن التي تسير في القناة كالأرور ..
والصائدين العائدين في الروارق البحرية !

* * *

(رأيت عمال السماد ، يهبطون من قطار المحر ، العتيق
يعتصمون بالماديل الترابية
يدندنون بالمواويل الحزينة الحسوية

ويصبح الشلوع .. دنياً .. فراقاً .. فمضيق

فيدخلون في كهوف الشجن العميق

وفي بحار الوهم • يصطادون أسماك سليمان الحراقية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكنت في سحائبها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجور في (تواشيح) العاء

رهت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعث من « هيلانة » السجائر المهترئة .

ولي « الكيانون » سبعت

واشتيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرث فوق انشعب الصحراء المدية

أنفط منها الصندف الأورق والقواقعا

وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ديدية !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والقداء

نحصرها النيران .. وهي لا تلتن

ذكر مجنسى اللاهي .. على مفاهي « الأربعين »

• رجلا الذين ..

بنفسون عجزها الدامي . وصمتها الحزين

• يمتح الرصاص — في صدورهم — طريقاً إلى البقاء .

• يسقط الأطفال في حاراتها

تضض الأيدي على خطوط « طائراتها »

• يترنخي — هائلة — في بركة النماء .

• وتأكل الحرائق ..

• بيتها البيضاء والحداثق ..

• ونحن ها هنا .. نعش في لجام الانتظار !

• نصفي الى أباتها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الانطار !

• تصقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

• سقط من طوابق القاهرة الشواقي

• أبصر في الشارع أوجة المهاجرين

• أعانق الحين في محوهم .. والذكريات

• أعانق المحنة والثبات .

• • • • •

هل تأكل الحرائق

يومها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
أمة . قريه ؟!

تضئ فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء .
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

عرف أن العالم في قلبي .. مات !
كفى حين يكف المديح .. وتعلق الحجرات :
بشر قلبي ، أخرج هذا الحمد الشمعي
بسحبه فوق سرير الآلام .
فجعه ، أسقيه بيد الرغبة
مع شعاعاً يبيض في الأطراف المبردة الصلبة
بكر .. تنعت بشرته في كفى
لا ينقى به .. سوى . جمجمة .. وعصم !

- ٢ -

تمزقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — ثمالمين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حاملة .. بالصيف في عرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهة في النهر ..
واتكلمو على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تترلقون من ذراع لذرّاع !

تنتقلون في العيود ، في الدخان العصبي ، في سحابة الإيقاع

وفجأة .. يمسك الشرايط في تحطم اللوارق

يبيل ثوبك الفرائشي .. من الأكلّم حتى الحاصرة !

وحين يُفعر المعنى عنه مرتبكا

تتفجّرين صحكاً !

تشتعيرين صحكاً !

وتغلغلي في الثوب في تصاعدات العم اصراح والمطارق

وتتدعيرين حُفك المشتبك

ثم ..

تواصلين رقصك المحمّل دق الشطّيات المتناثرة !

- ٣ -

عب القصة تكتمشان .

فيندق الحرس الخامسة صباحاً !

أنحس دقي اسابتة . انطامحة بثوراً وجراحا

(اسمع حطو لحارة فوق السقف

دقة الأعطية ، خير الصنبور

حشحة المذراع ، عدوية جسدي المهور

(.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

لكي في دقة بائمة الألبان :

تتوقف في فكي .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

و الشارع ..

تتلاقى - في صوء الصبح - بطلّي العارح

صافع .. بالأقدام !

- ٥ -

حيثي ، في الغرفة المجاورة

سمع وقع حطوها . في روحه وجبة

سمع قهقهاتها احاجة البرهة

اسمع تتمامها المجاورة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهي تدور في مكاب .. مهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهي إن دحش :

تشاغلّت بقطعة التطير ..

بالنظر العابر مر شاكها الى الابرير .

ماضيت .. سأت ١

وعند مررت عني ١ بعبء مصيبي :

نبت ورد ، صهره .. نحيه .. صهرها انارته

وحتمت أداسي ، وحتيات في أعمدة لوطائف نساغره

حتى تلاشي حطوها .. في آخر الدهليز !

٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(ثلب القطة من داخل صدوق المصلات)

كل لأبواب : سوية والسبعة ، تفتح إلا .. نابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبصتي المحمومة حفاشاً يتمنى في سدور ..

.....

يتدفق من قبصتي المخرجة حيط الدم

يتفرق .. عذباً .. منساباً .. يتساند في المحيطات

تعتسل الرثايل المتميتان من اللون الدافئ ،

يمشي السَّم ..

يتلاشي لباب المعنى والأعير والأصوات

.. وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في اهراق النصحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية العرفة

يرشف من فتجانه رشفه

يرج عييه على المنحدر النحى ، في اوراق الاهداس !

(.. عييه هاتين اللتين

تسل آثارها عن جسمها - قبيل أن تنم - مرتين !)

وعندما ترشفه بظفرة كظيمة

فيترد لحظة عييه : يتسم في عومة

وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين ١

.. في آخر الأسبوع

كان يعدُّ - صاحبكا - أسابها في كتفيه

فقرصت أدنيه ..

وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنت :

أصيح وحدي .

- ٩ -

جاءت إلى وهي تشكو العياد والدوار

(.. انفتحت رائي على أقراص مع الحمل)

ترفع عوى وجهها البتل ..

تسألني عن حل !

.....

هأنى الطبيب ! حيا أصطحبها اليه في نهاية النهار

رحونه أن يسهي الأمر . حذر (.. واستشار بتلو قوانين

اعقوبات على كي أكف القول !)

هامش

أهيمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكي تحرق

أن الصمير الوطشي فيه يملأ أن بقل السل

أن الأثاث صار عالياً لأن الحديت أهلك الأشجار

لكه . كان يخاف الله والشرطة والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ! في الترهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحداً - في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داغبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكسبت عجلى !

(كانوا - وراء الباب - يكسون النور والظلا

وملح الراقصة الشفرة عريها . وتحسب اهبات !)

قلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرقَت باسمّة العمازتين والسماح .

وعندما مسّها : تنلحت أطرافها الوجلى !

وانفلتت عجلى .. !

كأنها لم تدق الحب ولم يثر بصدرها التهبات !

- ١١ -

مد علقنا - فوق الحائط - أو سمة الدهفة

وهي تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حباب الصريرة تفللقها عد اليوم !

.. وانفردت بالفرقة !

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهبة الطمعية المبكرة

أعصب عيسى بالصحيحة التي يُدسها البائع تحت الباب

وَرَدَّ حَتَّى يَدُ تَرْتُوبِهَا أَيُّومِيهِ لَمَرَّةً
وَهِيَ تَقْصُ شَبَابَهَا عَاقِرًا فِي الْأَكْوَابِ
(تَقْصُ عَنْ حَارَتِهَا إِلَى رَدَّتْ
وَحَارَتِهَا بَدَنَ شَرِي
وَعَنْ شَحَارَتِهَا مَعَ حِدَّةِ وَتَوْبٍ وَتَقْصَابِ ،
ثُمَّ تَشُدُّ مِنْ يَدَيَّ صَفْحَةَ الْكُرَّةِ)

١٣ -

العدم في فني مات
لكي حين يكف مذبح ، وتعلق لبحرات
أخرجته من فني ، وأصبح فوق سريري
سفيه سيد نعمة
فمن يدفء يعود في الأضواء سارده الصفة
لكر تنفت بشرته في كمي
لا يتبقى منه سوى حممه وعظمه
ونام

(١٩٦٧)

١٤٢

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،
الاسكندرية

واليوم يشع لي ريتين ..
يسد مسامعها الرُّبُ .. والأثرية !

...

طفولة مايو ، تشيخ ،

وفي الصبح رفع راياتنا اليص للبحر .. مستسلمين ،
ليشخرنا الملح ، يجمع بشرتنا الشمس البرص ،
ومرشد أسطى نظهر ، بحس فوق الرماب ،
تجروخ في حرنا العامي الشيف .. لكي يتوهج !
(.. حين همما بإمساكه : احترقت بهذا) ،
تلمس ندى البكارية .. كيف تحف الصبارة فيه ،
يمرر سماً .. ودوداً بحيث يتماحة معطية ؟

... ..

وفي الليل - نخص راياتنا .

١٤٣

تنقضُ الهدنة الأبدية ،

نحزُّ أن نساءلُ : هل نحن موتى ؟ ١٢

وجولأثنا في الملامى ،

اهتزأثنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

دبدبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقات ،

مركبة الخيل حين تسمو الهوى بنا ،

الصحكات ، النكات :-

بقايا من الزيد المر .. والرعوة الداهية !!!

« نرى نحن موتى .. »

وننشأ أبهايا في الطيور المهاجرة المتعبة !!

(٢)

صديقى الذى غاص في البحر .. مات !

فحطته ..

(.. واحتفظت بأسنانه ..)

كل يوم إذا طلع الصبح أخذ واحدة ..

أفقد الشمس ذات الحيا الجميل بها ..

واردد : يا فمس ، أعطيك سنة اللؤلؤة ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

رُدِّيهِ ، رُدِّيهِ .. يرو لنا الحكمة الصائبة ،

ولكنها ابتسمت بسملة شاحبة !

.....

وكانت على البحر راية حرب ، وغضبة ريح

وعن — مع الصمت — حمل جثائه فوق اكتافنا ،

ثم نبط في طرقات المدينة ،

نستوقف العابرين ،

سائلهم عن طريق المدامى .. والرحلة الخائبة !

ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

.....

بدايتنا البحر ..

— حين قصدنا المقابر ! —

كيف رجسنا إليه !؟

وكيف الطريق اشتبه !؟

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أعلقى الملقب :

هكذا زمن السكينة ،

« سالومي » تقضى ..

من ثرى يحمل رأس « المصندان » ؟

...

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقها إيقاعها الهادى ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تتوالى قطرات الصمت من صبورها العصى ،

كفى ترسم في صفحة ماضيها .. الدوائر

صورة لأمرأة تحبس في الهوى — تحوُّك الصوف —

في ممرها البينى ، لعاء الصمائر

مفترق المطر العذبة في الباعدة البيضاء ،

دفع الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكوب الموحشة

مركبات الفد تدنو في الخيال ..

تصل الأفراس عند الباب :

— « أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة . والشوق الخال !

(تفاسيم) :

عقب استعراضها الفاضل .. لم تطلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

ثُرْدُ السحب الرقيقة عن أحشائها ، تيكى شياباً ..

كانت المنعة فيه قطعة الجبن .. وكأس من « الروم

لكى ترحل في عرفة ربي من الطلاب ..

لا تملك يما سوى الكسرة والتغ الرخيص ،

— الآن مشى خلفه . سرب من الأطفال ،

عد النوم يسطرون على سطره الطيب .. حتى لا يرى

وجهها صاب .. وعيها عذيران من الحرب ،

ويدعو الحادى الأسمر ، يلقى باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن متعشى ،

وقد سوف يواهبها الطبيب — الموت والجاهض —

هذا شهرها الثالث . رغم الحزن الشائع !
حتى أنت يا أفراس متج الحمل ؟
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

منفرد

مَنْ يفتسر الحمل الجائع
عمر الذئب الشبحان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن .. لم يترج الانسان

صوت (٢) :

وتحدها .. تساقط الدمعة من عين الليل
بعد أن حلقها الوهم طويلا ..
وحدها ، سرعان ما ترشفها الأرض !
وينساها الرجال
شربوا قهقهتها المرة ، والمذباغ مازال يئن !
والمصاييح تضاء !

الموت في لوحات

(١)

مصقوفة حقاقي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائل للأرض ..
رُدد دون أن تُفهم !
يميل خطى في العروب دون أن أمل !
وها أنا في مقعدى القائط .
وربقة .. وربقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلوى دوائر
وتحنى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتي ! رجاء ! ماتت وهي دون الثامنة .

ماتت وما يزال في دولا ب أمي السرى .
صبدلها المصطفى !

صدارها المشعول ، قرطها ، عطاء رأسها الصوفى
أرنبا القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الخائط عليها تقف !
أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما ناست ..
أدور في الغرف .

وعندما تسألنى أمى بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها مستفح اباحت
وأستبين الكارثة !

(٣)

عرقها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العنّين ..

يشب في أحشائها أظماره الملوثة .
صلّت إلى العداء ، طوقت بكل صيدلية
تقلب بين الرجال الخشنيين !
.. وما تزال تشتري اللقائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللقائف القطنية !
.....

وحين صابجت أبها ليلة الرعد
تمحّرت بالخصب والوعيد

واحتججت في طنها بشاره التكوين !
لكنها نادت أبها في الصباح ..
فظل صامتا !

هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفى كنت أراه في صباح العطية الهادىء
تنشر في شرفها على خيوط النور والغناء
ثياب طليها ، ثياب روحها الرسمية الصغراء
قمصانه المفسولة البيضاء .

تنشر حولها نقاء قلبها الهالىء
وهى تروح وتجيء ..

.....

والآن بعد أشهر الصيف الردىء
رأيتها .. دابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حييتى فى لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدتى جثة رطبة !

ينكسر الشوق بداخلى ، وتخفت الرعدة
أموء فوق نعديها

أضرع فوق نعديها
أود لو أنفذ فى مسام جلدتها

لكن .. بظل يسا الزجاج .. والعياب .. والحرمة !

وذات ليلة ، تكسرت ما يسا حواجز الرهبة
فاحتصتسى . يسا بحر بعوض فى قرارة التربة

تعتت فى رأسها شرائح الصورة والنجوم
واحتللت فى قلبها الأرملة الحميم

لكها وهى تتاجبنى

سمعتها تنادبنى

باسم حبيبها الذى قد حطم اللعة

مخفأ فى قلبها .. نذبة !!

بطاقة كانت هنا

(٦)

المرل الثالث بعد المنحى

الطابق الأخير .

بطاقة صغيرة كانت هنا

وعيط ضوء كان من خلال بابها بنمر !

الطابق الأخير ..

الوحشة السوداء فى الأعصاب تعرس

يدى على الجرس :

مدى .. مدى !!

تراجعت فى أدنى رحلة الصدى

وأسقط الرماد من لفافتى !

كانت هنا حييتى

عيونها محابر الضياع

عام .. وعامان .. مدادها الحبر لم يجف

صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرق !
ها أنذا ..

يَدُ تساندت على الجدار .
وغخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث حتمار كتيب
يرسم في كتوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..

وبعد برهة .. علودها الشحوب !

حييتي ملاح ابتسامي على يرفقها الوهاج
« بلوب » أين أنت يا حييتي الحزينة ؟

صيفان ملحدان في عواطر الأمواج
كقبضة من العفونة ..

أعود ، كي يعتسل الحبر في بحيرة الذهب .
لكما « بلوب » ..

بطانة كانت ها !

ووحشة عريضة ، وثقب باب لم يعد يصي !
وعكبوث قد أنتم — فوق ركنه — سيجة الصوفى !

لقد أنتم عكبوث ما بدأت في انتارك الوفى !
ما كان كان ..

لكما ملاح الزجاج
لا تعرف السيان !

(٣)

الليل عند المتصف

يا سائق السيارة العجور .. قف

لمرل الثالث بعد المحي .

لكها يا صاحبي العجور .. لم تعد ها !

امض هناك حيث لا مكان

حيث البيوت دوغما عوان

أوغل بنا في رحلة السراب

قافلة الغناء تستند لمسير حلف دورة اهصاب

لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب

فهم هناك يرقبون أصبح النجوم

ضاعت معالم الطريق في الصباب .

حييتي لا بد أنها هناك

تسأل عن رواحل ارتدّت من العروب

لا تربك ، قد يصيح العمر في هيبه رتيك .

حييتي : لقد نجوت من « سلوم »
طفلك انت من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقبلاً على الأبواب
الحناطون .

هم الدين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذني رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفاتي .

ظماً .. ظ

حسدى صحرة صهرتها الظهيرة
حتمها يتمتت ،
والبحر بعد ذراعين بعد انماء !
فرس الموج تمص أعرافها البيض ،
نعدو مركبة الرقة اللهيبة ،
لكها تحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأس تحت الرذاذ ،
أمد يدي حاملاً كوي القارغ الورقى ..
لتسبح فيه المقاييع ذات العيون الصغيرة
عطش .. عطش ، والنداء .

تجنجر في الهواء !
حين صار فسي فضة : وقف البيعا ..
عاريا . رعت ريشه يدها الخفة .
قالت الربقة :

« أرح عبيك .. وافتحهما .. »
ثم . لم ألحقها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح
شعرها والوشاح

وهي تملو . وما يسا الصمت والقشعريرة
كل من شرو .. هربوا دون أن يدغموا ثمناً للزواء
رحلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الأثناء .
وحدث على الحان : لم أر غير الخطام ..
ودبال النصايح .. والقط يمشي بالمصلات الأحياء
— سيدى : ملكك الحزن والكبرياء
يحيطك ؟ انقطع الخيط منك ،
وعصفوره فر دامي الجراح !
أمراء المديّة مروا إلى الصيد عند الصباح
الفرصة تجرى .. ولكن كلبك يرحى الدب
وهو يكم في رثيه التبايح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المحشم فوق الثُصْب
حبر مر السكارى يدورون في حفات الصخب
يبدأون الماء :

« ياصيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من ثرى تشترى عسجرى »

« لتخبثه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن عريبتها المومياء ؟ »

(أيتها الأشقياء !)

.. مر في الثالثة المغرب

فتمدد فوق الحشاش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلب عجب ..

فاسقمهم يا غلام !)

مر في غاسلو الطرقات

فأداروا حراطينهم ، غسلوا الثُصْب الحجرى ،

.. وكنت على الدرجات

أناؤه مرتعشاً ، وثيابي تنصق في جسدى المضطرب

والرياح عجب ، وتصغنى بالمواء .

.....

أهلى الفراء .

عزروا لي مع الصبح ، أهدى بعبوبة ملوت ،

محفق الوجه ، حاوى الوعاص

يفتت حلقى لقطرة حُب ..

عبر أن اليبايغ حفت بعبى ، والبحر عاص

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ القبار .
أدور فى طاحونة الصمت ، أفوق فى مكاني المختار
شيئا مثيراً .. يختبئ وجهي وراء الأقمعة
أعمدة البرق التي تطل من نوافذ القطار
كانها سربٌ لوزٍ أسود الأعناق
يطلق فى سكوني صرخته المروعة
ويختفى .. متاهاً رحلته مع الليل !
(صوئلك كان ؟)
أم ناعسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟
هذا الذى يشبك قلبى خائفاً .. تحت بعمرة القماز
حتى إذا اعتسكت — فى نهاية السهرة — من روعة الألفاظ
تجففت عن نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..
ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين ٩١)

توقفى أيتها الأشرطة البيضاء
فقد رى الحيط الذى حلّقه الثعبان فوق الصحراء

قد يرى عصام من ماتو من حبه

قد يرى وقد يرى

كما الأشياء

لذب فيها بضعها بوجعني ، سفعها مكنوث

درو على وجهي دقيق دسها

مرقا من ورقات الثوث .

شرع في العيون صولجها المكسو بالصدأ

في المقاهي ترفع بصوت ، وجعني عن فصائح سور

- في آخر العمر ، تصير الأدن عادة ..

حلة مهملات .. !

(جوارب السيدة المرتجة

ظلت تثير السحرية

وهي تسير في الطريق .

وحين شدتها : تمرقت ..

فانحصر الصلحك ، ووارت وجهها مسحدية

وهكذا أسقطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهي تسرى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

لقد فقدت مقعدى قبيل أن يرتفع الستار

وانكسرت في داخل الرعية في استرداده ، الرغبة في الشجار

فكل شيء برغى في لحظة التأهب المرتقة

وتبث الأيدي بأزوار قميصها المذهبة

وتظمي فقاغة السخط . بيسمة اعتذار !

شيئا فشيئا .. عاب عن قلبي غبط الضوء !

وانحطت الملتبة !

والسنة الأولى التي تشد الظهر ..

حين يدق سمما إفغاع حطو إرافة مقترنة !

وصحكة العلراء عندما يرشها رداد البحر !

والألم الذي يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدواء في استعراق كهل حائس ، يحس في هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

وعوسا تسقط .. لا يسدها ..

إلا حوافق الياقة المنتصبة !

فلرحم عدائي أبيب الألم

واسند حطامي للنهار

بكاية الليل والظهرة

- ١ -

في كل ليلي ..

تخلع الذكرى ملبسها المفعرة القديمة ،

تستحم برششات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعناء الطريق

وتسترد تضارة الألوان .. والمرح المديم .

مدانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،

تستلقي جوارى في الظلام ؛ تضيء بشرتها :

برائحة التوغل في الحقول ..

برعشة القمر المؤرجع في مرايا النيل ..

بالقطرات تدمع في مابت شعرها المبلول ..

بالبض الجفول .. يرف في استغاثها ..

باللثة العناء في الصوت الرحيم

. ودروعها يندف : يرتعش التوهج تحت لمستة .

وتقعبح آخر نسع المقدسة ، لمضيعة من مراياها ؛

تشق الهر ؛ تنثر ما تبقى من رملى :

فوق أفرعة الخريف البائسات .. فتكسى ،

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،

فوق الفروج . فتطوى في الليل موسيقى الحادب ،

في الحظائر .. يبدأ المهر الحرون ،

على ماقير الطيور . فتقطع الأفراح من نوت عواء الحبو

في عقم السماء . فتقص البشري . وتعتقد اليوم

يا دقة الساعات

هل فاتنا .. مبات ؟

ونحن مدركا

أشباح أميات

في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاص النهار بها ، فمرق عر تصوعها معدطف ،

وألغاما على أعتاب ممكة النجمة ، والدياب بضر ،

والكلمات . أقذاح مكسرة احواف .

إذا ثماها . تجرحت الرؤى '

والصمت : قصاص محمأة على وهج البكاء

(فاص الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب .)

٥ - آو و وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النور
 تيكى المرأة الأفعى على كف العثيق ،
 وتستريد من الكائنات ، تنقم صدرها معارى يديه
 - لعله يسي بها بعد الخداد ! -
 يدبر عييبه المتين تشا فادها مع الضلاء ٥)

كان لصريق يدير من الموب - كان جهنمى الصوت -
 فوق شرائط التسجيل
 فى أسلاك هاتفه المثلث ..
 فى صرير الباب من صدأ الفوايق ..
 فى أريز مراوح الصنف الكبيرة ..
 فى هدبر محركات الخافلات ..
 وفى شعار النسوة السوقي فى الشرفات ..
 فى سأم انصاعيد ..
 فى صدى أجراس إطفائية تعدو مصلصلة سده
 (كوفى إدد ما شفت :

ساقطة تدور على مواخير الموائى ،
 وجه راحة تصاجع صورة العنراء ،
 أما تأكل الأطفال ،

كوفى أى شيء - فيه نغمس خبرنا الحجرى - ملتهب
 الدماء !

دم الغبار يلح فوق وجوها ،
 ويلود بالحدران غفر فوقها أسماءنا . لكها تنفتت ١
 لحدران وهم ..
 والرحال الملققون على مساحة صفحة الأعلام ،
 ولصور التمية فى المعارض ، والقوش على المعايد ،
 ولوسام العسكري لأبيل الشهداء ،
 والزهو الذى يندس فى رحم النساء .
 (.. تلك المرأة :
 سمحت جلسات شاي العصر ..
 سمحت ابتعاشنا بلسع الماء فى حماما الصيعى -
 سمحت البراة فى تساؤل طفلنا من أين جاء ١)

يا آخر لدقات
 قولى لنا . من مات .
 كى تحتسى دمه
 ويختم السهرات

- ٣ -

ماذا نغنىء في حقيقتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صلت الوفاة ؟

أم القيمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا نغنىء أيها الوجه الصفيق ؟

ماذا نغنىء أيها الوجه الصفيق ؟

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

١ إلى صلاح حسين

رحاوة التماس تعمر المسافرين في قصر ميل .

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون - فجأة - غواء دئب

وانعقد الحليب في الضروع

واطلق رصاصة :

فكفت الأشياء - بعدها - عن الوجيب ..

هيبة ، ثم استعادت مصها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان الشيد الوطني يملأ المدياع مهباً براجم النساء

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء

وتعمر الظلال روح القاهرة)

والدم كان صاخاً يلوّث القصبان

هذا دمّ الشمس التي ستنشق ، الشمس التي ستعرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دم القتل أحمر اللوي ،

دم القتل أحضر الشعاع

حيط عليه تُنشر الدموع .. كى تحف في أشعة الصبح

(وكان مبي الانحد صامتاً . مطعياً الأصواء

نسرى إليه من غير « هيلتون القريب ..

أعنة طروب !)

وكان وجهه اسيل مصحفاً عليه يقسم الجياح

وكانت اندراغ

فارعة ، كأن محرثاً يشق الأرض !

كانت اللراغ ..

ضامرة .. كبذرة القمح

ضامرة كالسنة الأولى التي تنبت في هم الرضيع !

(وكانت المطامع السوداء تلقى الصحف البيضاء

وصاحبان في ترام العودة الكسول

يختصمان في نتائج الكرة .

وفي طريق الهرم الطويل .

تبادلت سيارتان — كادت في الليل أن تصطدما —

السباب !)

وفي الصباح ، والشيد الوطني يملأ الأسماغ

كان قرأش الحقل يبدأ الشيع

وكانت الأصوات في القرى . حائرة الابقاع

ورحلة الموال في الصلوع تفرد القلوع

« أدهم مقتول على كل المروح »

« أدهم مقتول على الأرض المشاع »

... ..

وكان وجهه السيل مصحفاً .

عليه يقسم الجياح !

العشاء الأخير

بكائية :

أعشى القدرة حتى اتسم ..
عندما يفرس الخبجر في صدر المَرَح
ويهدب الموت ، كالقنطرة ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطى القدرة .. حتى لا أموت .
مهلك قسى من الطرق على كل البيوت
عسى في أعين الموتى أرى ظل دم !
فأرى الصمت .. كمنصور صغير
ينقر العيين والقلب ، ويهوى ..
في ثنايا كل فم !

- ١ -

الرياح ! اعطيات في القلوب ، حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشقة .

ووقفاً نحرس الباب ، ونحمي الأزقة
بينما حيل الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقضون الأثرا
يسألون الدرب عن خطوة ريج فيه ، عن أية ريج !
فنفض البصرا !

ومضوا ، والنسك المحزون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الحواري الصبيغة .
.. نحن عدا نعمل البشرى ها
وهنا باسمها
وهزما كنفها ، عبثا ..
ونددت رأسها في راحتنا .. مئة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحمي .. اللافنة
وهي — تعويدنا — لم نحملها !

- ٢ -

الخيول المرسجة . !
صهلت ، لكن هل الفرمان فرمان كما كانوا .. عدا ؟
والمهايمر التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسيقف ثلثت ..
فقد استأجرها النحاس .. نحى هودجه !

وسيف قطع أن تتلى عد الاستعراض .. زمة !
وحائل .

حملتها في دياجى الليل أصلاخ المفاصل
ودقا بلها المقهور في عام البكاء .

.. شبح العرس ما زال على وجه المذمة
صامتاً يأتى إذا جاء المساء
صامتاً يفض أطراف الرداء
ويمد احسدا .

فيمد الخوف في الليل بنا !

ثم يمضى ، يحمل لأكمال ، يسرى في اللروب
يحمل الأكمان أثواب ركوب !

والمهامير التي تحملها الأقوام .. عاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء موت » ياقلبي
فلا تنق التحية

— من ترى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .

— الحمامات لوث أعاقها

والنوى حتى لسان بالرطان

— أنت لا تعرف من أنت ..

— أنا :

مد أن مات أنى

كل من تعشقه أمى الثرية ..

كل من تعشقه أمى . أنت لى في العمد !

— ربما « أحسن » ربته امرأة .

— ذهب الشمس العجور الصبرا

وهوى فوق عبايات النرى

وأنا أبكى على قل الرماد !

يفتح الذهب أحضان عيون

لترى . لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط في معد « هاتور » انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر . على وهم الحصان !)

— أنا « أوروريس » صاحت القمر

كس صيفاً ومضيفاً في يومه

حين أجلس لرأس المائدة

وأحاط الحرم الأسود بى

عندم ينسج (الكوريش) أصواء العروب
تسل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات

ثم تسئل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح . شطايا قمر .. كان يصي ،
حطمته قبعة الطاووس فوق الطرقات
ثم أهده إلى السوة .. كى يصلبه فوق الصدور
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تسئل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمرا كان لقلبي مدعاة)
ولكم جامد كى أحبه عن أعين الخراس ،

فتطلعت إلى وجه أنسى ..

فتفاصت عنه .. مرتعدة !

أنا أوزوريس ، واسمك القمر
وتصمحت الوجوه ..

وتبانت بما كان . وما سوف يكون ؟

فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة

قلت : يا أخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه

ودمى هذا حلال .. فاجرحوه !

خبأ المصباح عنيه .. بأهداب جناحه ..

لكى تخفى الجريمة

وتثنى الصوء من جد الحناجر !

— ربى أحيالك يوماً دمع « ايريس » المقدس

غير أنا لم نعد نجيب ايزيس جليلة

لم نعد نصفى الى صوت النشيج

ثقلت آذاننا مد غرقنا فى الصجيج

لم نعد نسمع إلا .. الطلقات ' .

(بمرص الرعب الطمأنينة فى ظل المسدس .)

— الطمأنينة فى ظل الحداد !

— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات

يبد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نور في الظلمة برهه
غير أرى كنت جائع
وأنا الآن فقدت القمر .

.. ...

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذي آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كل العيون الصدئة
كان في الليل يصيء !

حملوني معه للسحق حتى أضعفه
تركوني جائعاً بهصع بال
تركوني جائعاً

هراءى القمرُ الشاحب - في كمي - كمكة
ولن الآن بحلقي ما ترال
قطعة من حرره الأشيب . تُدمي كشوكة

.. ..

أعطى القدرة حتى أبتسم ..

وشعاع الشمس يهوى كخيوط العكبوت
والقناديل تموت

قدمي تتشمس السُّتمة الأولى لكي أصعد فوقاً
ويدي تلمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟

عن الموقى ، وأطياب الحسوط

نكهة نكسو بهاء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فحرقاً
.. منهك قلبي من الظلمة ، إلى لا أرى
آه لو لم ألتهمه - القمر الشاحب - لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاديت خطو الله ، لا امامه ، لا حلقه ...]

- ١ -

.. إطرار سيارته ملوث بالدم !

صار .. ولم يهتم !

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

وحين أقبل الرجال من بعد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في ورقية مطوية

وسرت عنهم .. ما فتح العقم !!

(حارب في حربهما

وعندما رأيت كلاً منهما متهما

جعت كلاً منهما !

كفي يسترد المأمون الرأي والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

حين دلف داخل المقهى

جردني الدال من ثيابي

جردته بظرة ارتياب

بادله الكرها !

لكسي مسحة القرش فرب الوحده

بسمية .. كليئة .. بلها .

ثم رسمت وجهه الجديد فوق عمة النقب

- ٢ -

رأيتهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جنونها

الأحيرة

واخرطوا في الصناعات والمكائ

وجئت . بعد أن تلاشت مفايق ، وعادت الروررق

الصغيرة

رأيتهم في حلقات البيع والشراء

بقايضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأملاك

تقول لي عيونها الميتة القريرة :

إن طعامها الأخير .. كان لحمًا بشرياً ..

قبل أن تجرّوها الشباك !

يقورى الماء أخيرى فى رجاح المورق النماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !
نقول فى تحيطة التمساح فوق باب المنزل المقابل
إن عظام طمية كانت مرائش نومه فى القراع !!

(خلعت خاتمى .. وسيدى .

فهن ترى أحصى بك الشمابت فى يدى
لتعرفى حين تقبلين فى غيد
وتعسلين جسدى
من زغواب الزنيد !)

فى ليلة الوفاء .

رأيتها — فيما يرى النائم — ماهرة كسلى
بصرجها الخوذى فى مركبة الكراء
يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو . ولا تسر
وعندما ثرت .. وأغلظت له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بهينها الجميلتين ..

رأيت فى العينين : زهرتين

تنظران قبلة . من حلة هيص جاحها . فم تعد بطير
.. رأيتها — فيما يرى النائم — طقلة .. حبل
رأيتها .. ظلا !

و فى الصباح حبا شاهدتها مشدودة إلى الشراع
استمتت ، ولوحت لى بالذراع

لكسى : غثرت فى سوى !

رأيتى .. غوى !

وعندما هصت . أقيت عنيا نظرة وودغ

كأننى لم أرها قلا !

فاطرق خجل ..

ولم تقل لى رأيتها بىلا !

- ٣ -

حرحرت فى الصباح لم أحل سوى سجالرى

دمسها فى حب رى الرمادية

فهى الوحيدة التى تحب الحب بلا مقبل !

رؤيا

(ويكون عام . فيه محترق السابل والصروع
تمو جوافرنا — مع اللعاب — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأظفار في لعق الكرى !
يسمو صديد الصمغ في الأفواه ،

في هذب العيون فلا ترى !
تنساقط الأفرط من آداد عذراوات مصر !
ويموت ندى الأم . تهضر في الكرى
تظهو — على برصها — لـ (لـ رصيع !)

حاديت حطو الله ؛ لا أمامه . ولا حلقة
عرفت أن كمنى أشفة .
من أن نال سمه أو دهنه .

(حين رث عيالي ما تحت الثياب : لم يهد يثري !)
قلب — حيا — وخبى المنة
حتى ردا ما انقصت المهنة

ألقينا في الشر دون حبة !
وهكذا . فقدت حتى حلمه وعصاة .

(عيالك : لحظنا شروق
أرشف قهوتي الصباحية " غروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع
عينك ، يا حبيبتي ، شجرتا برقوق
تجلس في ظلهما الشمس ، وترفو ثوبها المنروق
عن فخدها الناصع !

- ٤ -

.. وستبطين على الجموع
وبرقوق . فلا تراك عيونهم .. خلف الذموع
تنوقن على السيوف الواقفة
تسمعين المهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !

... ..

ويكون حوغ !
ويكون حوغ !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(في مصر)

• • أكره يوم اخمر في أمية
لكسى أدمتها استعفاء
لاسى مد أتت هذه المديّة
وصرت في القصور بيعاء :
عرفت بها الداء !

• • أمثل ساعة الصبحى بين يدي كافور
ليصمى قلبه : فما يرال طيره المأسور
لا يترك السجى ولا بطير !
أبصر تلك أشعة المنقوية
ووجهه المسود ، والرحولة المسلوقة
أبكى على العروبة !

• • يومى : يستندى : أشده عن سيمه الشجاع
وسيمه في عمله .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط حصاه الثقيلان : ويكسى
أسير مثقل الخطى في ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

يتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !
حازيتى من حب ، نسأى : متى يعود ؟
هت . الخود يملأون فقط خلود
ما بيننا وبين سيف الدولة .

هالت ستمت من مصر ، ومن رجاوة التركود
فقلت قد ستمت — مثلك — القيام واقعود
بين يدي أميرها لأيلة

لمت كافورا

ومكث مقهور

• • حولة : تلك البدوة الشموس
نقبتها بالقرب من « أريحا »

سويعة ، ثم افترق دون أن يوحا
لكها كل مساء في حواضرى نخوس
ينثر بالشوق وبانتات ثمره العوس
أشم وجهها الصبوحا

أصم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عما القادمين في القوافل

فأعبروني أنها ظلت بسيفها تقاثل ..

في الليل تجاز الرقيق عن حياتها

حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا

والأب عاجرا كسيحا

واختطفوها ، فيما الحيران يرون من المازل

يرتعدون جسدا وروحا

لا يجرؤون أن يعيشوا سبيها الطريقا !

... ..

(ساء لي كافور عن حرى

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصبح « كافوراه .. كافوراه .. »

فصاح في علامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كى تصبح « واروماه .. واروماه .. »

.. لكي يكون العين بالعين

والسن بالسن !

• • في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم

في جلستي ثمت .. ولم أتم

حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون سيف مولة .

وأب شمس نختمى في هالة العبار عند الحوثة

شعبا حوادة الأشهب ، شاهرا حسامك الطويل المهلكا

صرح في وجه جنود الروم

صحة الحرب ، تسقط العيون في الخلقوم '

نحوص ، لا تبقى هم إلى الحياة مسكنا

تهوى ، فلا غير الدماء واليك

ثم تعود باسماء .. ومهكنا

والعنة الصغار يهتفون في حلب .

« يا مقد العرب »

« يا مقد العرب »

حين تعود .. باسماء .. ومهكنا

حمت لحمة بكا

حين عموت

كسى حين صحوث .

وحدث هذا السيد الرحو

نصير الهوا

يقصر في تدمانة عن سيفه الصارم

وسيفه في غمده يأكله الصدا !

وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، ويكفى ..

يبتسم الخادم .. !
 .. تسألني جاريتي أن أكرى للبيت حراما
 فقد طعى اللصوص في مصر .. بلا رادع
 فقلت : هذا سيفي القاطع
 صعيه حلف الباب . متراسا !
 (ما حاجتي للسيف مشهورا
 ما دمت قد جاورت كافورا ؟)

. « عيد بأية حال عدت يا عيد ؟
 بما مضى ؟ أم لأرضي فيك مهويد ؟
 « دمت بواظير مصر « عن عساكرها
 وحاربت بدلا منها الأناشيد !
 ماديت : يا فيل هل تجري المياه دما
 لكني تميص ، ويصحو الأهل إن بودوا ؟
 « عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

(حريرى ١٩٦٨)

تعليق على ما حدث

في انتظار السيف ١

بردة في عروة السرة ..

ماذا تدين الآن ؟

حطلاً أم حريمه ؟

أما نوحين على بومة قدس بقية ؟

عذب الخيل من بشرى ،

عاد (الحسن الأعصم) والموت المغير

بالرداء الأرجواني ، وبالوجه لنصوصي ،

وبالسيف الأجير

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتز مع الريح . !)

انظري من هرجة الشباك

أيدي صبية مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(. مُردفًا روجه الخيل على ظهر الحصان)

انظري غيظ الدم القاي على الأرض :

« ها مر .. هنا »

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ حُطَيِّ الْجَبَدِ .

عَيُونُ الْمَاءِ .

وَاسْتَلْقَتْ عَلَى التَّرِيَةِ .. قَامَتْ السَّائِلُ

أَوْ هَا بَحْرُ جِيَاغِ الْأَرْضِ يَصْطَفُ

لَكَ يُنْقَلَى لَدَى عَهْدِ الْأَمَانِ

يَقْشِرُ السَّكَّةَ بِاسْمِ لَمَلِكِ الْعَبْدِ ،

يُنْفِى حَطْبَهُ الْجَمْعُ بِاسْمِ امْلِكِ الْعَالِمِ .

يُزْفَى مَبْرَ مَسْحَدِ

بِاسْمِ بَدَى بِقَرُ أَحْشَاءِ الْخَوَامِلِ

• • •

تَسْدِى الْآلَ مِنْ يَحْوِ

فَلَا تَسْدُهُ الْأَيْدَى ،

وَمَنْ يَمُتْ .. فَلَا يَرْمَعُ عَيْبِهِ إِلَى الدَّسِ .

وَمَنْ يَخْطِفُهُ امْتَحَاسُ

قَدْ يَصْبِيحُ مَمْنُوكًا يَلُوصُونَ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،

يُحْمَلُونَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ

نَقَاءَ الْعَصْرِ ،

هَذَا قَدْرُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا يَتَّ بِرَدِّ الْهَلَبِ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَابٌ ..

وَجَدْنِي رَأَى رُوحَتَهُ الْحَسَاءِ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أَمْتِكَ الْأَوَّلَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحَتْ : شَرْدَمَةً مِنْ حَثْبِ الْقَتْلِ ،

وَشَحَازِينَ يَسْتَجْلِبُونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْزِعُهُ الْغَارَى ..

فَيَهْوَى مَا تَبَقَّى مِنْ رَجَالٍ ..

وَأَرْوَمَةٍ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَفْزَعِي مِنْ جَرَمَةِ الْخِزْيِ ،

أَنْظُرِي ..

حَتَّى تَقْبَلِي مَا بِأَحْشَائِكَ

مِنْ دَبَابَةِ الْأُمُومَةِ .

• • •

تَقْفَرُ الْأَسْوَاقُ يَوْمَئِذٍ ..

وَتَعْتَدُ عَلَى النِّقْدِ ، الْجَدِيدِ

تشكى الأضلاع يومين .

واعتاد على الصوت الجديد

يسكت المدياع يومين .

واعتاد على الصوت الجديد

وأنا منتظر .. جب مرشك

جالس أرقب في خمي ارتعاشك —

صرخة الطفل الذي يفتح عييه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كفى صباح .

أفتح الصور في إرهاب

مستلأ في مائه الرقراق

يغبط الماء على يدي .. دَمَا !

... ..

وعدما ..

أجلس للطعام .. مُرْعما :

أنصر في دوائر الأطباق

جاءما ..

جاءما ..

معصرة الأفواه والأحلاق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

وعندما أبداً رحلتى النهارية

أحمل في مكائها .. مديها !

(أشتر حولي البيات الحماسية والصداعا)

وبعد أن أعود في ختام جولتي المسائية

أحمل في مكان رأسي الحقيقة ..

.. قينة الخمر الرجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتي ..

في الليل الأخير

يوقظني الشرطي في الشارع للشبهة

يوقظني .. برهة !

وبعد أن أرشوة .. أوصل المسير !

...

توقفي المرأة ..

في استادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصققات العنّج ، و « الجنة »

تتلا خلف طهرها العمودا !)

١٩٨

تسألني لعافه .

(لم يترك الشرطي

واحدة من تبعها الليلي

تسألني إن كنت أمضي ليلتي . وحيدا

وعندما أرفع وجهي نحوها ::

سعيد

نصر حلف طهرها شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

عوض عباة . كصلي رصاصي

أصرخ من رهافة الحديث

أمضي بلا وجهة !!

- ٤ -

وحاتي الخريف في بيسان

طائر السنان ..

حط على شواطئ البحر الشمالية

صبت من تحي نفسي .. قبيل النوم

مم أجد .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تحبهُ نفسي
(في الظل والشمس)
علم أحد . نفسي !!

... ..

وها أنا حلف الواعد الرجائية
أرقبُ عند المعرب الشاحب .
طائرِي الغائب !

(١٩٩٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قطرُ الندى يا حُل
مُهَرَّ بلا حِيَال

.. . .

قطرُ الندى يا عين
أُميرةُ الوجهِين

.. . .

صوت :

كان (مَهَاروية) راقداً على بحيرة الرقيق
وكانت المعَيَات والبساتِ الحورُ
يظُن فوق السُنُلُ والكامورُ .
والعقراء والدرلويشُ أمام قصره المُعَنق
يتظرون الذهبَ المبدورُ
يتظرون حفةً صغيرةً .. من نُوز .

جوقة :

قطر الندى .. يا عيسى

أميرة الوجهين

.. ..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

صوت:

هودجها يخترق الصحراء

تسبقه الأنباء .

أمامها العُرسان ألف ألف

وحلمها الخصال ألف ألف

تعبّر في سبيل ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

.. ..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

.. ..

٢٠٢

(استمرار)

تعبّر في سبيل

تعبّر في مصارب البني ، وفي مصوب الماء

عد انتصاف الصيف .

تحلم بالوصول للأردن ..

ترجى أمة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحر

جوقة .

قطر الندى يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى .

الصوت والجوقة .

كان (حمادوية) راقداً على بحيرة الرقيق

في بومة اقبولة .

من ترى يفقد هذه الأميرة المعلقة ؟

من يا ترى ينفذها ؟

من يَأْتَرى يقدِّمها ؟

باسيف ..

أو .. الحيلة ؟!

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

(١٩٩٩)

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء

واندفعت سيارة محمّلة السائق

تطلق صوت بُوقها الزاعق

في كبد الأشياء :

ثَمَرَعَتْ حمامة بيضاء

(كانت على تمثال هضبة مصر ..

تَحُلُمُ في استرخاء)

..

طارَتْ ، وحطَّت فوق قبة الخامعة الحاسر

لاهئة ، تلتقط الأنفاس

وفجأة : دندنت الساعة

ودقت الأجراس

فحلَّقَتْ في الأفق .. مُرتاعة !

..

أيتها الحمامة التي استقرت

فوق رأسي الجسر
(وعندما أدار شرطتي المروحي يده ..

ظنته ناطورا .. يصعد الطير

فامتلاث رجا اء)

أيتها الحمامة التي :

تدري على قباب هذه المدينة الحزينة

وأشدي للموت فيها . والأسى .. والدعز

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناحي الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. وتعرفين راحة السكينة ا

٤ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام

شاركني الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشعب المقام

وعندما راي كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : أريد وجهه ..

ورق جفنه .. رفة

فالت الرجفة

وقص عن صنيعة طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فم تضر صغمة

وم يجد - حين صحا - إلا بقايا الخمر والطعام ا

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تطبق رشفة ..

قطر فيها ، يشنكي رسنه صنيعة ..)

وظل يروي القصص الحزينة الختام

حتى تلاشي وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تشرح اصوت به ، وطالت الوقفة

أدركت رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العمة

ومن خلايا جسدي : تفسد الحزن .

وبلّ المسام

جلست فوق الشاطئ الياس

وكان موج البحر

يصمغ نخذ الصخر

• بصوى — حيا — أمام وجهه العابس .

.. وترجع الأمواج

تنطحه برأسها المنهائج

ودون أن تكف عن صراعها الياس .

ودون أن تكف عن صراعها الياس .. !

مارس ١٩٦٩

أه
وحيث ظل أناس
رأيتهم يجمع ساقه الصاعية في الظلام
مُصْعَدًا نهيدة ..
قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (نرام الرنمل)
متنبجا ، كامراة في أحريات الحمل
وكنت في نارغ
أرى شتاء (العصب الساطع)
يكسح الأوراق والمعاصم
وكانت لأحجار في سكوبها الناصغ
معسوة بنفص ادى توقفا
وكاب في المدياغ
أعنة حربة لإيقاع
عن (بسج لاقيت منه ما كمي ..)
قد (عنفوه كيف يحمو مجعا)

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلتُ لكم مراراً

إن الطواير التي تمر ..

في استعراض عيد القطر والجلالة .

(فتهب النساء في التوافد انهاراً)

لا تصع انتصاراً .

إن المدافع التي تصطف على الجنود ، في الصحارى

لا تطلق البرق .. إلا حين تستدير للنواء .

إن الرصاصات التي بدع فيها . ثمن الكسرة والدواء :

لا تقتل الأعداء

لكها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهاراً

تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلتُ لكم في السنة البعيدة

عن خطر الجندي

عن قلبه الأعشى ، وعن همته القعيدة

يحرس من يحميه راتبه الشهري

وربه الرسمي

يرهب الخصوم بالحصجة الجوفاء

والقفعة الشديدة

لكه . إن يحيى الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة .

فر من الميدان

وحاصر السلطان

وعنصب الكرسي

وأعلن الثورة ، في المدباع والحريدة !

- ٣ -

قلتُ لكم كثيراً

كان لابد من هذه الذرية النعينة

سكنوا الخنادق الحصينة

متخذين من مخافر الجنود .. دُورا

ودخل الواحد منهم هذه المدينة :

يدخلها .. حصيرا

يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمانة

لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..

وحكمة الأب الرزينة

مع المُسَدِّس المدلَّى من حرام الحصر .

في السوق ..

ولى مجالس الشورى

• • •

لثَّ لكم ..

لكنكم ..

لم تسمعوا هذا العبث

ففاضت النار على الخيَّسات

وفاصت .. الجثث !

وفاضت الخُوداثُ والمدرَّعاتُ

(سيم ١٩٧٠)

مئة عصرية

- ١ -

فتح المدباغ .. واستلقى !

وكان القدحُ الساعنُ ..

في وحشته المستعرة .

(.. يدخل الطيفُ الذى يبهط .. بهتة

يسكتُ المدباغُ .. سكتهُ ...)

- (موجز الانباء) ..

.. ألفت هذه السجارة المحترقة

صوتُ النافذة المنغلقة

..

(.. عبر الفرة :

فوق الحائط الأزرق .. صورة

ظَلَّ يَجْلُو تحتها خنجره .. مبسما)

..

مَدَّ ساقه ،

وكان الرعبُ فى عينه ..

صار الصوتُ والموتُ
عدواً واحداً
مقسماً !

• • •

ظل في مقعدِهِ ..

سار الترام

وهو في مقعدِهِ ..

كلُّتُ هذا بائعَةَ الخبزِ الصغيرةَ

وهو في مقعدِهِ ..

كفَّ فحيحُ الصمتِ في المذبحِ ،

وانساب « السلام »

وهو في مقعدِهِ ..

— (موجزُ أنباءِ الصباحِ)

وهو في مقعدِهِ ..

• • • • •

في يَدِي سيجارةٌ ملتصقةٌ

وعلى الجانِبِ .. صورة !!

— من ذلك الهائمُ في البريةِ ؟

ينام تحت الشجرِ الملتفِّ والقناطرِ الخيريةِ ؟

— مولاي : هذا البيلُ .

يلُنا القديمُ !

— أين تُرى يعملُ . أو يقيمُ ؟

— مولاي :

كنا صبيّةً ندسُّ في ثيابهِ الصيفيةِ

فكيف لا نذكرُهُ ؟

وهو الذي يُذكرُ في المذبحِ والقصائدِ الشعريةِ ؟

— هل كان قائداً ؟

— مولاي : ليس قائداً .

لكنا السياحُ في مطالعِ الأعوامِ

يأتون كى يروه ..

— أو .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا

ابوجه الباكى .. وكوفته القطبية

.. تعال كى نودعه في ملجأِ الأيتامِ .

— مولاي :

هكذا تحبُّ الصبايا والرعاةُ والأعنام

شهادة الميلاد .. والتطعيم .. والتأجيل
والموطن الأصلي .. والجسدية
.. حتى يمارس الحرية !

- ٣ -

.. ويُلقي المعلم مقطوعة الدرس ،
في نصف ساعة :
(ستبقى السنايل ..
وتبقى الابل ..
نعرّد في أرضنا .. في وداعة ..)
ويكتب كل الصغار بصدق وطاعة .
(ستبقى القبايل ..
وتبقى الرسائل ..
تُبلّغها أهلنا .. في بريد الإذاعة)

وأمّ كلثوم تغني له ..
في وصلتها الشهيرة !
- النيل !

أين يا ترى سمعتُ عنه قبل اليوم ؟
ليس ذلك الذي ..

كان يضاجع العذارى ؟
ويحب النّم ؟

- مولاي : قد نساقطت أسانه في العمّ
ولم يُعَدّ يقوى على الحب .. أو الفروسية
- لا بد أن يبرز لي أوراقه الشخصية
فهو صُموت !
يصادق الرعاغ ..

يهبط القرى ..
ويدخل البيوت ..

ويحمل العشاق في الروارق اللينة

- مولاي ؟ هذا النيل .. !!
- لا شأن لي بنيلك المُشرّد المجهول
أريد أن يبرز لي أوراقه الرسمية :

• • •

يهرق قرطها الطويل .
يراقص ارتعاش ظله .
على ثلثات الصبي الجميل
وعندما تلمظ بدر العاكهة
وتطعم الثبغة في المعصرة العتيقة الطراز
تقول عنها : استرح !
والشفتان .. شوكتان !

• • •

(تيقن أني : شتعا بفصل بين الأسوس
وعندما يفور كأس الجمعة المملوء ..
في يد الكبير :

يقتطك المقتول مرتين !
أتأذنين لي بمعطى
أخفي به ..
عورة هذا القصر العارق في البحيرة
عورة هذا المتسول الأمر

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي : من أنت ؟

(العتوب الأسود كان يلدغ الشمس ..
وعيناها الشهيتان تلمعان !)
— أنت ؟ !

لكني رددت باب وجهي .. واستكنث
(.. عرفت أنها ..
تسي حزام خصرها .
في العرايب القاهرة !

• • •

أسقط في أنياب اللحظات الدنسة
أنشاعل بالرشمة من كُوب الصمت المكسور
بمطاردة فراش الوهم المخمور
أتلأش في المحيط الواهن
بها بين شروخ الحجر .. والرقبة
ما بين القدم العارية وبين الصحراء الملتبة

وهو يحاورُ الظلالَ من شجيرةٍ إلى شجيرةٍ
يطالعُ الكفَّ لعصمورٍ مُكسَّرٍ الساقينِ
يلقظُ حبةَ العيبينِ

لأنه صدَّقَ — ذاتَ ليلةٍ مضتْ —
عطاءَ مملِكِ الصَّغيرِ .
عطاءَ حُلُمِ القصرِ

باب

- ٩ -

حسنًا الأولى . وعيناك الملبَّتانِ بالعصورِ .
مُشَّانِ عن بدايةِ الحديثِ ،

واتسامةِ حجولِ .

في شعيتك العذبتينِ ، وارتباكنا يطولُ ..
في لخطاتِ الصَّبِّ والطما
خُرْتُ فوق مسدِّ المقعدِ

قلْتُ ما يقالُ عن ردايةِ الطقسي ،
تسرَّرتُ حينئذٍ في استدارةِ الهالقةِ
في معطلفكِ الجميلِ .

وكان صوتُك المفضي يتحسسُ الطريقَ في شراييني ،
ويمسحُ الصدا
وكنْتُ أُلوي في رباطِ عُنُقِي ،

أَرَبْتُ ظَهَرَ قَلْبِي ،
أَمْسَحَ غَمَطَ القَرَقِ الضميرِ .
نصر : شرعاً في زجاجِ البابِ ،

بون الزحرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة . وهي تنحى في الكوب ..
شمعها الذبول .

..

ليلتها . عيناك هاتان المبيتان بالمصوّل
طاردتان لحظة بلحظة ..

في دوراي السلم الطويل
وفي سريري ظلتا نعيان آخر الليل
وحس ضاق الصدر بالحزن .. وامتلا
رهرقتا حولي

فقلت . قلت لهما كل الذي أردت أن أقول ..

(.. كنا جارين طويلا ..)

وخليل عيوننا نضمر ترمسو فيه
أشعره الشوق
قلبي ما كاد يشق عن الطوق
حتى أبهر في حينها الواسعين ..
برحلته الأولى

. لكى أشهدها - الليلة - تنكى علي ..

كما كانت تنكى علي !
بيت في إصبعها خاتم الذهب
يغر على جبينه بأباملها الرخصة .

..

هي تهجرني الأحزان ؟

أشهد قاتنتي تستدف ..

في أحضان القرصان ؟

- ٢ -

كبح وجهك المصوء . يا رباب
تستطيل التور عندما يشع ..

في اعراج باب

في فحج اللقاة الأخيرة

سعة المناقص المروقة

مسات اللوحة المعلقة

دورة القراش في السقيف ،

وفي انفلاقة الكناث

دوران الثلج في الأكواب

في رثّة الملاءق الصغيرة
في صمّة المدباح برهة قصيرة
في ثنيات الظل في الثياب
في عيش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب العارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شتر :
أقسم ألا يسقط قلبي في ..
شريك الهذب الأسود .
ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموعد !)
- ٣ -

كيف ضمعت في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عيبك من عيبي ؟
وكل شيء حولنا يُملئ علينا أن نحاف ؟
لكننى أزع قلبي من نعمة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتمى — كالسلحفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

ها حقيّة مدلاة ، وشتر عتري !
(عرفت عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
صاحبها اثنان ،
وحلف سائر العارات في الميدان . في الظهيرة
. وصاحبتها امرأة على البلاح الدمي
وجسمها الخارح من بحارة البحر .
متنّدى بالألء الصغيرة !)

• • •

حين التقيّا : لم تسَل من أنت ..
أو من أين ؟
وقبّلتى خلصة ونحن في المترو ..

مُحاصِرَتَن .. واقفين !

وقبلتنى وأنا أخرج مفتاحى ..

أمام غرغرى الفقيرة !

وقبلتنى .. حالماً أَغْلَقْتُ الباب وراء ظهرها ..

لامعة العين !!

• • •

لا يهذه (البُيُوتُ) التى بهم باطلاقها)

ولا انحسار القوب فوق ساقها

هو الذى حاصرتنى فى الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شيء بها .. كأنه اليتم ..

كأنه الفراز ..

يلوب ما بين دراعى : فهذا السريرة

وتلتوى الأمانى البيضاء حول كينى .

كأنما نحن : العريق .. والحطام الخشنى !

تمسك لى ..

فى لحظة احتراقها ..

فى لحظة التخلّى عن عناقها !

تمسك لى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

لذا التفتت من يديها

وهى فى استراقها !!

وصار يتي بيتاً معاً ، وصار ..

أرجوحة وثيرة .

وصلرت الألفه ثوباً واحداً

تلبسه تحت جلودنا

فلا يلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عارية — إلا من الحب — تروح ونجىء

بأنى غناؤها بصوتها الناقع

وهى ترش الماء فى الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأنيقة

وهى تُسَوِّى شعرها ،

أو .. وهى عند النار

تُعَدُّ فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

فى لمستها الخبيرة

تَكْوِي المتأدب الحريئة .. والتورة

أو تمنح الغبار حول صورة !

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه
الكتابات ، والقبلة الموقوتة
وقدح القهوة ساخناً ،
وصيدلية المرل ،
واسطوانة العاء
والياب معمور العم
.. الباب .. ونحن القطعة الباقوة .
أترك كل شيء في مكانه ،
وأعبر الشوارع الضوضاء
مخلفاً خلفي : زحام السوق ..
والنافورة الحمراء ..
والهياكل الصخرية المنحوتة
أخرج للصحراء !
أصبح كلباً دامي الخدائث
أبش حتى أجذ الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
أعمى بلا بصيرة .
فتشت عنها كل حانات امدية الكبيرة
وعرف الطلاب ..
والمستشفيات ..
والملاجيء ..
لكسى لم أر غير الوحشة المريرة
ودكراتها المنشورة
في البيت ، في مكانها ..
تنتظر اليد الأميرة
تنتظر المحيط .. الذي ينظم الآلية .

• • •

— كأسك !
— حان موعد الاغلاق .
— لم تبق الا قطرة أحيرة .
— كأسك !
.. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقصم الموت الذى يندس التراب !
أدس في الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكسرة المزموم
وصارخاً في رحم الأرض ..
أصبح : يا بساط البلد المهزوم ..
لا تسحب من تحت أقدامى ..
تسقط الأشياء ..

من رفاها الساكن في خزنة التاريخ ،
تسقط المسلمات والأسماء !
أصرخ .. ليس يهمل الصوت
أصرخ .. لا يهيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسى الطنيس ،
ويهلل الهواء
أسقط واقفاً ..

وخالماً ..
أن يحمل الصدى مدائى للهزات ..
فوق أسطح البيوت
أن تفتق الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !
أبكي إلى أن يستدير الدمع في الحفرة
أبكي .. إلى أن تبدأ الثورة
أبكي إلى أن ترسخ الحروف في ذاكرة التراب
أعود صلاً ..

أنتج الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..
فلا أراها !

أبحث عن مدينتى :
يا إرم العماد
يا إرم العماد
يا بلد الأوعاد والأجناد
رُدنى إلى : صفحة الكتاب
وقدح القهوة .. واضطجاعتى الحميمية
مرجع الصدى ..
كأنه اسطوانة قديمة :

يا إرم العماد
يا إرم العماد

رُدِّي إليه : صهوة الجواد
وَكُتِبَ السحر ..

وبعض الخير في زوادة السفر
فقلبه الذي اشتطّر

يرقد فوق رهرة اللوتس في المنى ،
بطالع المكتوب
منتظراً حتى يمور الكوب
في يدي ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب
لكي يعود في مواسم الحصاد
أعياً .. أو وَرْدَةً
للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

١ -

كنت لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعي .
كنت لا أحمل إلا .. قلماً .
في يدي : خمسُ مرايا
تعكس الصورة (الذي يسرى إليها من دمي)
.. طارقاً باب المدينة :
« افتحوا الباب »

فما ردّ الحرس
« افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
قبل : « كلاً »

..

أمطري يا قبضة الزيد التي تُدعى سُحْبُ
أمطري وغوتك الجوفاء في كوب الذهب
هذه الأسوار ما رقتْ للفقاق الحريئة
وشعاع القبة الفضية المساء يخل ..
في مرايا الثمينة

آه لو أملك سيقاً للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيماني المرقلى — معاتيج المدينة

آه .. لكى بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذى ينصح حُمى

إنتى أنشدُ فى جنبيك .. حلما

(.. واستكاثت شعة الوهج على وجهى طويلا .)

رما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذى ينصح حُمى

فمسنًا مطلقاً العينين .. دوماً !

يا طريق التلّ (حُبّ اقية النساء تبدو ..

صنماً ضحكاً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات محوٍ فارغة

وكلايب والفّة

ورماي ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كُتًا — كما كنت — برشُ النور والشوق النبيل

وتهدجنا عاء ..

وتهدجنا بكاء ..

وتهدجنا .. فصولاً

ثم .. لم نلق من الحبّ علدا : باهاً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعت فى الصمت حولى عجلاتُ المركبة

- « أوقب الخيل »

أطلت :

- « من ترى أنت ؟ »

فأومأت بحياء

قالت : « صعد »

— « آو يادات العيون العطية
كل شيء ينهد

كل شيء في دمي .. لا يتحد
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..
حتى كلمات الشكر .. ولت !
— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت عريفا
بينما كان على ربوة بحمة

كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا
عن جبين يهب العمر تنهيد ورحمة
ورسمنا وجهك المعبود فوق المنزل
وعلى صدر الربيع المقيب

وتعشقاك : حربا أرجوانيا أمرا
وتعشقاك : شغرا كستائيا عريرا
وتعشقاك : ثوبا جدلته الخور ..

من زهو المطر

وعشقاك فيك : حنى تحفك المجلوب من وادي القمر !
قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،
ثم استطرذت :

إنه مُلك أُنَى !

عندما كان (سليمان) وليا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قبل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب

قبل في الساحة باهورة حد
وعلى الباب نقوش أثرية .

آه . يا حراسه . هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاي » ..

ومدت يها (بلر البدور)

نصعد السلم : يا معراج ما كُنت نبيّا !
أنا في البلور حولي في السنا : أُلُف أنا
قامض يا معراجا نحو البجّاح
واعزفي يا جوقة الميلاي لحن الإفتاح !

• • •

ربما تُعقِ كُلَّ العمرِ كهي تنقب نعمة
ليمرَّ النورُ للأجبالِ .. مرةً !

.. .. .

ربما لو لم يكن هذا الجدارُ :
ما عرفنا قيمة الصوِّ الطليق !!

- ٣ -

شعةٌ تلجئةٌ في جبهتي تسرى .. مُنحَةٌ
« قد أتى الصبحُ .. فقم »
شدَّدتِ السيافُ من أشهى حُلُمٍ
حاملًا أمرَ الأميرة

« أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة
ليلةً واحدةً تُقضى . بدّمٍ !؟
يا ترى من كان فينا شهريار ؟!
أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)
« أنا يا مسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة
أنا لم أبلغ سوى عشرين عامً

سكرتُ كاساتنا من حجرِ بابل
ألف خيوط في دمانا .. يستبدُّ

« آه يا سيدتي : أنيتَ مَلَكٌ .. »

أنا لأحملُ إلا قلناً بين صلوعى .
فخذيه .. إنه أتمُّ ما عندى .. حذبه !

ومشت راحتها فوق جيبي ،

هتف لي : « شهريار ! »

« شهريادي : أسكني شهذُ الرجيقِ المتواصلِ
ثم قصِّ من حكاياكِ الجديدة

من رمانٍ لم أَعُدْ أسمعُ أشياءَ جديدةً

ي

« لبيك يا مولائي .. قالوا .. »

.. .. .

ثم لم يعلثُ قُومًا

وعى الجدرانُ لوحاتٍ فريدةً

لرغيف .. ورجاجاتٍ من الخمرِ .. ورايح ..

« قطع ! »

(آه .. ما أقسى الجدارُ

عندما يهص في وجهِ الشروقِ !

خذ ثيابي .. خذ مراياي المبرقة ..
— حسناً ، هاهن من الباب الذي و آخر المشي
ولا ترجع ها

يا طريق التل حيث القبة المساء .. خلعي
حيث مازالت على جيبك آلاف العجايب ..
لسكان المدينة :

الكلاب الوالعة
وزجاجات الخمور الفارعة ..
وأنا .. أحمل الهدامى الحزينة !!

الضحك في دقيقة الحداد

.. ووقفا في العراء
ببقايا أعيدة .
انتظروا ان يمر الشعراء
ربما يمحنا دواء العاء
ربما .. ليلة حب واحدة .
وتنصتوا لوقع الخطو ، عربنا الهواء
لم يكن إلا .. سكوت الصحراء
وطنين الأقدسة !

• • •

عالم تحت الصقر صفر ايدي جاء
حين كنا في صميم الليل روحاً مجعدة
صرق انا ، ونادى في حياء

فاستندروا في فراش النوم ،
أحكسنا العفء
وتركنه لحيات الرياح اباردة

• • •

كس في المقهى ، وكان البيعاء
يقرأ الأنباء في هوان حقل القمح ،
هوق القردة
وهي تجتر التراجيل ، وترنو للساء .

(— رفع أتمد حبيع الأشمدة)

.. الساء القطط — الأهراس — سيمان المشاء
وعيون الرعية الفئران تبتل بأصداء المواء
.. ..
(— رفع شعر الصوف ..)

.. ما من فائدة !

كادت السيارة الحمراء أن تقصم ظهر السيدة
والساء — القطط — الأزياء يخلعن الرداء

(— نائر يقتل في طهران بالأمس — رئيس الوزراء)

• • •

رعة شطربج مات اشاء ، دور الأبياء
هرم الأبيض فيه اسوده
حيث كنا في ضمير الليل روحا مجهدة .

تلغ الفئران في الجحر تراب الإشتهاء
وهي تجر التراجيل ، وترنو لساء
اساء — انقطع الكسلي ،

• • •

(اشتباك عسكري في اساء)
رهة ترتفع الأعين عن طاوله لره وموسيقى الساء
تترق الظرة من تحت الجمون الخامدة

• • •

(مجلس الأمي يولي ..)

.. .. يعود الإنماء

تجلس العيون على نقش البلاط القرمضاء
ثم تساء ، وتطويها فتور العريضة !
قال لي .

ها هو بهو الأعمدة !

.. ..

من هنا مرّت حيول الخيلاء
من هنا مرّت .. فلم يُدعَ لها قتل ،
ولم تُحقّق دماء .

حطّت الخدأة فوق المائدة
رفع السر عن الشمس . يده
قهو ، والأرض غطّاها الوباء .

.. ..

نقشة الجدران في قلبي ،

وفي عيني الرمال الراقدة

الرمال الرابضات — اليوم — من حول الباء
الرمال — الدم الحارق لي حبر وماء .
يا بقايا المومياء :

نحن أسبلنا العيون الرميّة

حين أنكرناك قبل الفجر ..

(والفجر إلى المحطة لم يأت ،)

وجاء ..

بدلاً منه : الوباء ،

كلما استشرقت النظرة أفق الور . شئت جسده
فراخت .. مُقعدة ،

وانتظرنا الصيف في فصل الشتاء

واغتسلنا ننشُد البرة نهار الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الضمة المتعفدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتسّمنا صدى الدعوة ، عرّسنا الهواء

سلم يركب إلا .. الوباء

جرباً تحت الحلود :

الظفر لا يجدي ..

ولا يجدي الدواء !

جرب نوح . حتى الأقدّة !

.. ..

لا تلومى .. إذا الطوفانُ جاء
.. ..

(١٩٦٩)

ووقفنا فى المراء
ببقايا أعمدة ..
وتلفتنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء
تتلوى فى رمالِ الضحراء
تقصد الليل .. لكى يمسخها جرعة ماء
فسقاها .. كمنه !
ورأينا فى مرآيا مائى أوجهنا ..
كما عراة تعساء
خلعتا يصطلكُ بابُ المصيصة .
.. والشفاهُ المرغياتُ المزينة .
تبارى فى اهتلافاتٍ ،
تدقُ المنضدة
ثم تسبلُ اذا انقضَّ البكاء
تتلهى بالصلبور الهادة
فى حوائيت الشواء ،
.. ..
.. ..
يا عصافير الشتاء :

(بيت)

أيها السادة . لم يبقَ احتيارُ
سقط المَهْر من الإغياء ،
واعملتُ سِوَر القَرَبَة
صاقت الدائِرَة السوداء حور الرَقَة
صدرنا يمسُّه السيف ،
وفي الظَّهْرِ : الخدر !

.. ..
أيها السادة : لم يبقَ انتظر
قد معب حريّة الصمب لمملوك وغنّد
وقطعنا شعرة الولي « اي هـ »
ليس ما يحسره الآن ..
سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى .
ومن عابر . لَعَار !

على عظمات القرى

ترسو قطارات السهاد
فتنطوي أحجّة العبار في استرجاءة الدنو
والنسوة المتشحات بالسواد
تحت المصابيح ، على أرصعة الرسو
ذابت عيونهن في التحديق والرئو
علّ وجوه العائين منذ أعوام الحداد
تشرق من دائرة الأحزان والسلو

.. ..
يظنون .. حتى تتأكل العيون
تأكل اللالي ،
تأكل القطارات من الزواج والعدو
والعائون في تراب الوطي — العدو
لا يرجعون للبلاد
لا يخلعون معطف لوحشة عن ساكب الأعياد !

بافورة حمرنة

طعن يبيع الفل بين القرينات .

مقتونة تتطر السياره البيضاء

كلب يحك أنفه على عمود الموز

مفهي ، ومذهاغ ، وترد صاعب ، وطارلات .

ألوية ملوئة الأعاق فوق الساريات .

أندية بليّة .

كتابة ضوئية .

الصحف الدامية العوي يصر الصفحات .

حوالط ، وملصقات ..

ندعو برؤية (الأب العالسي فوق الشجرة)

والثورة المستمرة !

إيقاعات .

سرحان يا سرحان

والصمت قد هدك

حتى متى وحدك

يخبرك السجان ؟

.. .. .

نقتل ، أو نقتل

هذا الخيار الصعب

وشننا بالربع ..

تردد العزل

في اسب ، في الميدان

نقتل يا سرحان !

حمره نشاى بدور في الصاحبي ، ونشرت

يتم عمل العائلة

إلا لدى في الصحراء القاحلة

لوقد في أمعاء طائر وذئب

(يهبط من صورته المقابلة

يلتف حول رأسه الدامي شريط الخزن

يجلس قرب الركن

يصمى إلى ثرثرة الأهواو والملاعق المبتذلة

يشق في وقفته صميم

يصب في منتصف الصحاب .. فطرتين
من دمه ،

ينكسر الصحاب .. شطيتين)

ينكسر النسيان

وهو يعود باكياً إلى إطار الصورة المحزنة

بآية القرآن !

الدم في الوسائد

بلونه الداكن

واللبن الساحن

تبيحه الحرائد

اللبن العاسد

اللبن العاسد

اللبن العاسد

يخفى الدم — الشاهد

- ٤ -

أموت في الفراش .. مثلما تموت العير ،

أموت ، والنمير ..

يدق في دمشق ..

أموت في الشارع : في المعطور والأرياء

أموت ، والأعداء ..

تلوس وجه الحق .

إيقاعات :

الدم قبل النوم

فلبسه .. وداعا

والدم صار ماعا

غراق كل يوم

« وما يحسى موضع إلا وفيه طمة برمح »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيونُ الجبناء »

١٩٧

لا وقت للكفاء

لا وقت للكفاء .

فالعلم الذي تنكسيته .. على مرادى العراء
مُنكسٌ في الشاطئ الآخر ،
والأبناء

يُستشهدون كي يقيموه .. على « نية » ،
العلم المسوخ من حلاوة البصر ومن مرارة الكفة
حيطاً من الحب .. وحيطاً من الدماء
العلم المسوخ من حيام اللاجئين للعراء
ومن متاديل وداع الأمهات للجنود :
في الشاطئ الآخر ..

ملقى في العرى ..

يهش فيه اللؤد ،

يهش فيه اللؤد .. واليهود

فاغتملى من قلبك المفقود

فها على أبوابك السبعة ، يا طينة
باصية الأسماء

يقع أبو الهول ،
ونعمي أمم الأعداء

مجوسة الأناب والرعة ..
تشرث من دماء ابنائك قرعة .. قرعة
تفرش أطفالك في الأرض بساطاً ..

للمدراعات والأحذية الصلبة
وأنت تبكين على الأبناء ،
تبكين ؟

يا ساقية دائرة ينكسر الحنين ..
في قلبها ، ويملك الجارى على حد النحوع
مجرى دموع
صفاهه : الأحزان والعربة ،

تبكين ؟ من تبكين ؟
وأنت طول العمر — تشقين ، وتحصدين ..
مرارة الحية
وأنت — طول العمر — تبقين ، وتنجحين ..

مقاتلين .. فمقاتلين .. في السحابة .

• • •

الشمس (هذه التي تأتي من الشرق بلا استحياء)
كيف ترى ثمر فوق الصفة الأخرى
ولا تحيئ مطلقاً ؟

واسمعة التي تمر في جنوب على عجم الأعداء
كيف ترى شمسها .. هلا تسد الأنف ؟
أو تحترق الرئة ؟

وهذه الحرائط التي صارت بها سيناء
غيرية الأسماء

كف تراها .. دون أن يصيبها العمى ؟
ولما .. من أمم المجزأة ؟
والطفنة الصغيرة العذبة

تطلق — فوق البيت — طيارتها البيضاء
كيف ترى تكثف في كرامة الإنشاء
عن بيتها المهذوم فوق الأب . واللعنة ؟
والأمى التي تظل في فناء البيت منكبة

مفروحة لعين ، مسرسة راء
تتكث بالعود على التربة .

رأيها حساء

نرقى شايها مستشهدين في صحراء

رأيها سماء

سكى بها مقول في كعكة .

رأيها شجرة الدر

ترد حننها لرب على (حم الدين)

تغنن صبرها على مطعة وسكن

فأخذ في الدنيا

يس هم أن يظروا إلى الوراء

أو يدعوا الموتى

لا يصيحه بعد امتصير ممون

(والتين والبرتون

وطور سيبس ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يومها سائل الإفرنج

تعوص تحت الموح .

ومك الإفرنج
يعوص تحت السرخ

وراية الإفرنج

تعوص ، والأقدام عرى وجهها الموعج ،

وه أنا - الآ - أرى في عدك امكون

صفا كثيف الوهنج

ومدنا ترتج

وصفا لم ترتج

ومجمة تسقط - فوق حائط المبكى - إلى الله

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوخ .

• • •

والتين والبرتون

وطور سيبس ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين

من سبتمبر الحزين

رأيت في هتاف شعبي الجريح
(رأيت خلف الصورة)
وجهك .. يا مصورة ،
وجه لويس التاسع المأسور في يدي صيغ

رأيت في صبيحة الأول من تشرين
حنذك .. يا حطير
يكون ،

لا يدرون ..
أن كل واحد من المشين
فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عاردا
الخير والشر .

المشهد القديم

تلك ٣ : ٢٢

ممكنتي ليست من هذا العالم . لو كانت ممكنتي من هذا العالم
لكنان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المشهد الجديد

يو ١٨ : ٢٦

أهانا الذي في المباحث نحن رعاياك . باق
لك لحيروث . وباقي لنا الميكوث . وباقي من
نحرس الرهبوث .

• • •

تفردت وحدك باليسر . إن اليمين لفي الحُسري .
أما الهسار ففى الحُسري . إلا . الذين يُماشون .
إلا الذين يعيشون يمشون بالصحيح المشترية
العيون .. فيمشون . إلا الذين يمشون . وإلا
الذين يمشون ياقات قمصاهم برباط السكوث !
تعاليت . ماذا يهلك ممن يدمك ؟ اليوم يومك
يرق السجين إلى سدة العرش ..
والعرش يصبح سجا جديدا وأنت مكانك . قد

يَتَيْلُّ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْعَرْدُ
لَا يَتَحَوَّرُ . الصَّمْتُ وَهَمْلُكَ . وَالصَّمْتُ وَثْ
وَالصَّمْتُ — حَيْثُ التَّقْتُ — يَرِيحُ وَيَسْمُكُ
بَيْنَ حَيَوطِ يَدَيْكَ الْمَشْبُكَيْنِ الْمَصْمُوعَيْنِ يَفُ
الْفَرَاشَةَ وَالْمَكْبُوتَ

• • •

أَهَانَا الَّذِي فِي الْمُبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَهْدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

سفر التكوين

(الإصحاح الأول)

فِي الْبَدْءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدْسًا
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْحَذَقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُنَوَّرَةَ .
وَكَانَ عَرْشِي حَجَرًا عَلَى صَعَابِ الْهَرِّ
وَكَانَتِ الشَّيْءُ ..
تَرَعِي ؟ وَكَانَ الْحُلُّ حَوْلَ الزُّهْرِ ..
يَطْرُقُ ؟ وَالْإِوَرُ يَطْفُو فِي نَحْوَةِ السَّكُوبِ ،
وَالْحَيَاةُ .
تَبْصُرُ — كَالطَّلَاحِيَةِ الْعَبِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنْ كُلَّ مَا أَرَاهُ
لَا يَهْفُ الْقَلْبُ مِنَ اللَّئَلِ !

(الاصحاح الثالث)

قلت : فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن !
 قلت : فليدب النهر في البحر ، والبحر في السحاب ،
 والسحاب في الجذب ، واخدد في الخصب ، يمس
 خبزاً ليستند قلب الجياح ، وعشياً ناشية
 الأرض ، ظلاً لمن يتفرّب في صحراء الشجر
 ورأيت ابن آدم — يصب أسواره حول مزرعة
 الله ، يتاع من حوله خرساً ، ويبع لإخوته
 الخير والماء ، يحتلب البقرات العجاف لتعطي اللبن
 قلت فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن .
 أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمر .

ورأى الرب ذلك غير حسن !

...

قلت : فليكن العدل في الأرض ، غير نقيس وسين بسن
 قلت هل يأكل الدب ديثاً ، أو الشاة شاة ؟
 ولا تصعب السيف في عني الثير طمس .. وشيخ

(مباررات الديكة)

كانت هي التسليّة الوحيدة
 في جلستي الوحيدة
 بين عصوي الشجر المشيكة !

(الاصحاح الثاني)

قلت نفسي : لو نزلت الماء . واعتسلت . انقسمت
 (لو انقسمت .. لاردوجت . واسميت)
 وبعلما استحممت .

فنامح الرهر وشاحاً من حرارة الشماة
 لفتت فيه جسدي المصطك

(وكان عرشي طامياً .. كالفلك)

ورف عصمور على رأسي ، وحط يمهض النبل
 حذفت في قرارة المياه

حذفت : كان مشواه

وحصى مكدلاً باح الشوك !

ورأيت ابن آدم يتردى ابن آدم ، يشعل في
 المدي النار ، يعرض حجرة في بطون الجواميل ،
 ينقى أصابع أطفاله عند سحلول ، يقص شعاع
 وروداً ترين مائدة الصبر .. وهي تن
 أصبح العدل موت ، وميرته السدقية ، نبوة
 صلبوا في الميادين ، أو شققوا في روايا المدن .
 قلت فليكن العدل في الأرض . لكنه لم يكن
 أصبح العدل ملكاً لم جلسوا فوق عرش الجماجم
 باطشباب -

الكفن

ورأى ربك عبر حسن

• • •

فتسكن العقل في الأرض ، تُصعق إلى صوته شر
 فتسكن هس يسي الطير أعششه في هم الأعواب ،
 هل النوى يشكن في لب النار ، والنوم هل
 يصعق الكفن في هدب عيشه ، هل يسر اصبح

من يرئخي الفصح حين يدور لرمز

ورأيت ابن آدم وهو يُحرق ، فيقتلع لشجر المتطوون ،

يبيض في ليل ، يعنى على صفحة النهر داليت ،

يشكن في البيت ، ثم يحرق في أسف باب

قبة الموت ، يؤوي اعتراب في دواء أصلاعه ،

ويؤت اباءه دينه واسمه وغميص العفن

أصبح العقل معترباً يتسول ، بقده صنية

بالحجارة ، يوقعه عند عدد حدود ، وتسحب

منه حكومات حسنة عوضي . وتذبح في

فولج من يكرهون لوصف

فتسكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن

سقط العقل في دوة اسعى واسحق حتى يحرق

ورأى الرب ذلك غير حسن

(الاصحاح الرابع)

قلت فتسكن الريح في الأرض ، نكسر هذا العصر

قلت . فتسكن الريح وادم . نمتع الريح هسه

الورق الدليل المُتَشَبِّه ، يدلج الدم حتى
الجنون فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعد في
السوق . والورق المُتَشَابِه . والنمر المُتَدَلَّى ؛
فيصُرُه العاصرون بيذاً يزغرد في كل دن .
قلت : فليكن الدم سراً من الشهد يتساب تحت فراديس عقْد
هذه الأرض حسناء ، رينتها الفقراء ، لهم تَطْلُبُ ،
يعطونها الخُب ، تعطيهم النسل والكبرياء .
قلت : لا يسكن الأعياء بها . الأعياء الذين
يصوعون من عرق الأحرار نُقُودَ زبا . ولآلئ
تأخ وأقراط عاج . ومسحة للرباء
إننى أول الفقراء الذين يمشون مُعْتَرِينَ ،
يموتون مُتَحَسِّين لدى العزاء .
قلت : فلنكن الأرض لي ... ولهم !
(وأنا بينهم)
حين أطلع على ثياب السماء
فأنا أَقْدَسُ — لي صرحه الجوع — فوق المراش الخشنة !

(الأصحاح الخامس)

حَدَقْتُ لى الصخر ، وفي اليسوع
رأيت وجهي في سيمات الجوع !
حدقت في جبينى المقلوب
رأيتنى : الصليب والمصلوب
صرحت — كنت خارجاً من رجم الهامة
صرخت ، أطلب البراءة
كيتوتنى : مشنفتى
وحبى السرى :
حبها
المقطوع !

(الاصباح الثاني)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُحُوبُ الْبَدَنِ فِي الْحَرَكَةِ !)

...

دَفَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

هَبَّصَتْ ! سَقَّتْ مَكْبَهُ

(صَمَعَتْهُ يَدٌ .

— أَذْخِنَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجَرُّبَةِ —)

...

دَقَّتْ سَاعَةُ الْمُتَعَبَةِ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ! رَقَّتْ حُوزْنَةُ .

(وَخَرَّتْهُ عَيُونُ الْمُحَقِّقِ)

سفر الخروج
(أغنية الكهنة الحجرية)

(الاصباح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ! وَانْقَرَضَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالدَّمُ اتَّسَابَ فَوْقَ الْوُشَاحِ !

الْمَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّنَانُ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبَعُوا !

أَنَا نَدَمُ الْقَيْدِ وَالْبَارِحَةِ

رَأَيْتِي : عَظْمَتَانِ .. وَجُمُحَةٌ ،

حتى تُفَجَّرَ من جلده البُومُ والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عدماً تهبطون على ساحة القوم ؛ لا تَبْدُلُوْا بالسلام

فهمُ الآنَ يَقْتَسِمُونَ صفارك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النارَ في العُشِّ ..

والقشِّ ..

والسنبلة .

وعداً يَذْبَحُونَكَ .. بحثاً عن الكثرِ في الحَوصَلَةِ !

وعداً تُقْتَدَى مُدُنُ الأليفِ عام

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقي دَرَجَ المَقْصَلَةِ !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقموا في مياديبها الجَهَنَّمَةِ الخلاوية

واستنداروا على دَرَجَاتِ الثُّصْبِ

شجراً من لَهَب

تعصف الريحُ بين ورُيقاته العصاة الدانية

فَيُسُّ : « بلادي .. بلادي »

(بلادي البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطئ بسيارة الرقم الجُمُرُكِيِّ ؛

وعتمت الثانية :

سوف يتصرفون إذا البرْدُ حُلَّ .. وَرَّانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مدياعُ مقهى يديع أحاديثه البالية

عن دُعاة الشعب

وهم يستديرون ؛

يشتمون — على الكعكةِ الحَترِيَّةِ — حولَ الثُّصْبِ

شمعدان غَصَب

يتوَّخَّع في الليل ..
والصوتُ يكتسحُ العتمةَ الباقيةَ
يتَّقَى لليلةٍ مِلاوٍ مصرَ الجديدةَ !

(الاصحاح الخامس)

أذكريني !
فقد لَوَّنَتْنِي العواوِصُ في الصُّحُوفِ الخائِنةِ !
لَوَّنَتْنِي .. لأَكْمَى مَدَ الطَّرِيقَةِ لَا نَوْنَ لِي
(عِبرَ لَوْنِ الصِّبَاغِ)
قَبْلَهَا ؛ كُنْتُ أَقْرَأُ فِي صَفْحَةِ الرَّمْلِ
(والرَّمْلُ أَصْبَحَ كَالْعَمَلَةِ الصَّعِيَةِ ،
الرَّمْلُ أَصْبَحَ أَبْسَطَةً .. تَحْتَ أَقْدَامِ جَيْشِ الدِّعَاغِ)
فَأَذْكُرْنِي ؛ كَمَا تَذْكُرُنِي الْمُهَرَّبُ .. وَالْمَطْرَبُ الْعَاطِفُ .
وَكَاثِبُ الْعَقِيدِ .. وَرَبِيعَةُ رَأْسِ السَّيْفِ .
أَذْكُرْنِي إِذَا نَسِيتُنِي شُهُودُ أَعْيَانٍ
وَمَصْبُطَةُ الرِّمَالِ
وَقَائِمَةُ التُّهَمِ الْمُعَلَّنَةِ
وَالِدَاغُ !

وَالِدَاغُ !

(الاصحاح السادس)

دَقْتُ سَاعَهُ الْحَمْسَةِ
طَهَرَ أَحَدُ دَائِرَتِهِ مِنْ دُوبٍ وَخُودٍ حَرَّتْ
هِيَ هُمُ الْآنَ يَقْتَرِبُونَ رَيْدٌ رَوِيدٌ
يَحْتَبُونَ مِنْ كُلِّ صَوْتٍ
وَمُعْتَبُونَ — فِي كَعَكِهِ الْحَمَرِيَّةِ يَنْقَبِضُونَ
وَيَنْفَرُ خُوبٌ
كَبِصَةِ فَمَتِ !

يَشْعَلُونَ الْحَاجِرَ ،
يَسْتَدْفِقُونَ مِنَ الْبَرْدِ وَالصَّلَمَةِ الْقَارِئَةِ
يَرْفَعُونَ الْأَشِيدَ فِي أَوْجِهِ حَرَسَ الْمَصْرَبِ
شَحَابٌ بِسَمَةِ الْعَقَبَةِ الْبَاسَةِ
تَصْبِرُ سِدًّا يَصُدُّ لِرِصَاصِ
صَدْرِهِ
مِرْصَاصِ

و

« نَحْنُ فِدَاؤُكُمْ ... »

وتسقط حنجرة مُحَرَّسَةٌ

معها يسقطُ اسمُك — يا مصرُ — في الأرض

لا يَبْقَى سِوَى الحَسَدِ المْتَهِنِ والصرحَاتِ

على السَّاحَةِ الدَّامِسَةِ !

دَقَّتِ السَّاعَةُ الخَامِسَةُ

... ..

دَقَّتِ الخَامِسَةُ

... ..

دَقَّتِ الخَامِسَةُ

... ..

وَتَفَرَّقَ مَأْوُكَ — يَانِهرُ — حِينَ بَلَغْتَ التَّصَبُّ !

• • •

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَةٌ ، وَالزَّنَازِنُ

أَضْرَحَةٌ ، وَالْمَلَى أَضْرَحَةٌ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ !

ارْفَعُوا

الْأَسْلِحَةَ

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس

(بكاليفات)

(الاصحاح الأول)

عائِدُونَ ؛ وَأَصْعُرُ إِخْوَتِهِمْ ذُو الْعَيُونِ الْحَزِينَةِ

يَتَقَلَّبُ فِي الْجُبِّ ،

أَجْمَلُ إِخْوَتِهِمْ .. لَا يَعُودُ !

وَعَجُوزٌ هِيَ الْقَدِيسُ (يَشْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْئاً)

تَشْمُ الْقَمِيصِ . فَتَقِيضُ أَعْيَاهَا بِالْيَكَاةِ ،

وَلَا تَخْلَعُ الثَّوْبَ حَتَّى يَجِيءَ لَهَا بَيَّا عَنْ فَتَاهَا الْبَعِيدِ

أَرْضُ كَنْعَانَ — إِنْ لَمْ تُكُنْ أَنْتِ فِيهَا — مَرَاغٍ مِنَ الشُّوْكِ

تُورِثُهَا اللَّهُ مِنْ شَاءَ مَنْ أَمَرَ ،

فَالَّذِي يَحْرُسُ الْأَرْضَ لَيْسَ الصَّيَّارِفُ

إِنَّ الَّذِي يَحْرُسُ الْأَرْضَ رَبُّ الْجَنُودِ

أَهْ مِنْ فِي غَيْدٍ سَوْفَ يَرْفَعُ هَامَتَهُ

غَيْرِ مِنْ طَاطَاوٍ حِينَ آوَى الرِّصَاصُ ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يخشى الأراميل إلا الذي
سيؤول إليه راج المدينة ؟!!

(الاصحاح الثاني)

أرشق في الخالط حد المطواه
والموت يبت من الصحف الملقاة
انجماً في المرأة
يصمعي وجهي انتخمي تحت قناع الفط
من يجرؤ أن يضع الجرس الأول في عنق القط ؟

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهي تطل على البحر من شرفة الفجر)
ساح فوق الخريطة :
منظر جانبي بفيروز ،
والمدقة ندخل كل بيوت (الحبوب)

مطر النار يهطل ، يتقب قلباً .. فلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. ثقباً
وفيروز في أغنيات الرعاة السيطنة
تستعيد المراثي لمن سقطوا في الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسة حلم
والشمس هي الدينار الزائف
في طليق اليوم
(من يسبح على عزق في هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من تحتي
يفصل بين الأرضي .. ويسى
وفضاءلت كبحرف مات بأرض الخوف
(حاة .. هاة)
(حاة .. راة .. هاة .. هاة)
الحرف : السيف
مازلت أروؤ بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الملوئ والموق الاحياء
حتى يرتد البص إلى القلب الساكن
لكن .. ١١

(الاصحاح الخامس)

مطر جاني عمار عام البكاء
والخوائط مرشوشة ببقايا دم عصفه البكلا
وهود انصبايا مصايح مضفاة فوق عمدته الكعربا
مطر جاني عمار
والخرس الملكى يقش ثوب الخليفة
وهو يستر إلى إلبلاء
وعيب البيوت وراء اله جار
ونعيب عيوب تصحايا وراء السحوم الصغيرة
في العمم الأحيى
ويعلو وراء نوافذ بسمان عرق اليبان

(الاصحاح السادس)

اشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة
واشترى شمعتين . وعدارة ، ودخيرة
وزجاجة ماء

... ..

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تطلع عن جسد القدس ثوب الحداد)
ليس من أجل أن يتفجر فقط الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكستجر

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيبين . ما كان — ماسيكون ،
والسماء رماد ، به صبح الموت قهقته ،
ثم ذراه كى تتشقه الكائنات
فيسل بين الشرايين والأهدنة .
كل شيء — جلال الرجاء — يعر .
رداد الغبار على بقعة الصوء ،
أعنية الريح ،
قطرة النهر ،
سرب العصافير والأعمدة .
كل شيء يفر ،
فلا الماء تمسكه اليد ،
والخلم لا يبق على شرافات العيون .
... ..

والقطارات ترحل ، والراحلون
يصلون .. ولا يصلون !

(الاصحاح الثاني)

ستراب
أعجب بفتيات

(اللواتي ينس إلى حب الآلة ماردة
سرداب الحيل)

رقى — رقم اموي — حتى حى إلى عرس
دى الللة لواحدة .
أعطيه لرحل

عندما يلتصون حسابهم فى الصباح ،
ويرتلون إلى جهات القتال ،
(الاصحاح الثالث)

اشهور رهور على حقه اعلى سمو
وتحرقها اشمس دث اعيون شذئية مبطنة
رهرة فى بناء
توهج فى نوب احث يبي ويسب

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

رهرة في الرداء

تفتتح أوراقها في حياة

عندما تتخاصر في المشية الهادئة .

رهرة من غناء

تورد فوق كمنجات صوتك

حين تماثل القلب الدافئة

رهرة من بكاء

تجمد فوق شجرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ،

أشواكها : الحزن والكبرياء .

رهرة فوق قبر صغير

ننحي ؟ وأنا أتماشى التطلع محرك ..

في لحظات الوداع الأخير

تعرى ، وتلتف بالدمع في كل ليل إذا الصمت جاء

لم يعد غيرها من زهور المساء

هذه الزهرة — الملوثة !

(الأصحاح الرابع)

تحمل الفتيات

في زيارات أعمامهن إلى العائلة

ثم يجهضن الزحام على سلم الحافلة ،

وترام الضجيج !

* * *

تذهب السيدات

ليعالجن أبسائهن فيؤمن بالوحدة الشاملة !

ويجذب الهوى بلسان الخليج ؟

* * *

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والغلب العازلة

تجنا من يد القابلة

تجنا . حين تقصم — في جنة البؤس — نفاخة العربات

وثياب الخروج !!

(الأصحاح الخامس)

تصرحين .. وتحترقين صفوف الجنود

تعاقد في اللحظات الأخيرة ،

في الدرجات الأخيرة .. من سلم القصة .

أفحس وجهك !

(هل أنت طمعتي المستحيلة أم أمي الأرملة ؟)

أفحس وجهك !

(لم ألك أعني ..

ولكنهم أرفقوا مقلتي ويدي بملف اعتراف

لتنظرة السلطات ..

فتعرف أنني راجعته كلمة .. كلمة ..

ثم وقفت يدي ..

— ربما درس هذا المحقق لي جملة تنتهي في إلى الموت !

لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلي يدي وعي بعد

انتهاء المحاكمة العادية !)

زمن الموت لا ينتهي بما انتهى الناكلة

وأنا لست أول من سأ ناس عن رمس زريرة

وأنا لست أول من قال في السوق

ان الحمامة — في الغش — تحتضن القبلة !

قبلي ، لأنقل سرى إلى شعيتك ،

لأنقل شوق الوحيد

لك ، للسيلة

للزهور التي تترعّم في السة المقبلة

قبلي .. ولا تدمعي !

سحب الدمع عيني عن عيونك ..

في هذه اللحظة المنقطة

كثرت بيننا السر العاصلة

لا نصمى إليها ستواً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الرواية .

كان يكتب ، والمرأة العارية

تتجول بين الموائد ، تعرض فنتتها بالنس .

عندما سأله عن الحرب ، قال لها

لا نحائ على الفروة العالية

فقدو الوطن

مثلاً بهتت

مثلاً . بهتت استع الأجبية .

يكره لحَمَ الخنازير .
يدفعُ للبدقية .. والعالية .

هكث !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .

عندما مرَّت المرأة العارية

ودعاها ! فقالت له إنها لن تُطيل القعود

فهي مد الصباح تُفتشُ مستشفيات الجوع

عن أحياها المحاصر في الصفة الثانية

(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكَّت كيف تَحتملُ العبءَ طيلة غربته القاسية

وحكَّت كيف تنس — حيز يحيء — ملابسها الصافية

وأرثه له صورة بين أطفاله .. ذات عيد

.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيد !

وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبنائها الشاهقة)

سفن غارقة

هبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع مد سين .

أسند الرأس رثائها فوق حائطا ،

وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه

وبقايا وسام ثمين

وتشتت بحارة الألمس فيها بأعمدة الصمت في الأروقة

يتسلل من بين أسماهم سمك الكريات خرين

وحناجر صامتة ..

وطحالب نابتة .

وسلال من الققط النافقة .

ليس ما يبض الآن بالروح في دبك نعام المستكين

غير ما يشر الموح من غم .. كال في هبة الريح

والآن يترك كفيه في هذه الرقعة الصيفة

سيطل على الساريات الكسيرة يتحقق ..

حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

ويصل إلى الحين

دون أن يلمس الريح ثانية ، أو يرى الأ ..

أو ينتهد .. من همها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسيلة

آه .. سيدتي الصمت واللفتات الوجود

لم يكن داخل الشقة المقفلة

غير قفط وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مر ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحا ..

ككتاب الشهيد !)

قفز القفط في الولولة

قفزت من شهابك جيواها الأسئلة

... ..

آه .. سيدتي الصمت والكلمات الشريرة

آه .. أيها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائما .. حين أمشي ؟ أرى السترة القرمزية

بين الرحام .

وأرى شعرك المتبدل فوق الكتف .

وأرى وجهك المتبدل .. فوق مرايا الخواصيت ،

في الصور الجاسية ،

في نظرات البنات الوحيديات ،

في لمعان حنود المخبير عند حلول الظلام .

دائما أنتحس مديس كفك في كل كف .

المقاهي التي وهبتنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالي التي كان شعرك يتل فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصي

الهدايا التي تتشاجر من أحدها ،

حلقات الدحاح التي تتجمع في لحظات الخصام

دائما أنت في المنتصف !

أنت بيني وبين كتابي ..

وبيني وبين فراشي ..

وبيني وبين هدوني ..

وبيني وبين الكلام .

ذكرهالك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تجف !
فامنحنى السلام !
امنحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

الشوارع فى آخر الليل .. آه
أراهم متشحات يتهنهن فى عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدمعتهن مصاييح دابة
تثبت فى وجنة الليل ثم .. تموت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من الضكبوث .

والمصاييح — تلك الفراشات — عالقـة فى مخالبها
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تتحلل شيئاً . فشيئاً
فتمتص من دمها قطرة . قطرة ؛
فالمصاييح قوت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه

أفـاع تـام على راحة القمر الأمدى الصموت .
لتمعان الجلود بمصصة المستطبة بعدو مصاييح
مسمومة الضوء ، يعو بداحلها الموت ؛
حتى إذا غرب القمر : انعمأت
وعلى فى شرايبها السم
نرفه قطرة .. قطرة ؛ فى السكون الميث !

وأنا كنت بين الشوارع وحدى !
وبين المصاييح وحدى !
تصبت بالخزى بين قميصى وجلدى
قطرة قطرة ؛ كان حى يموت
وأنا خارج من فرديسه
دون ورقة توت !

ممدودة — كالداء
ومشدودة — كالوتر

وتصل . وحيدة !!

المزمور الثاني

قلتُ ها في الليلة الماطرة .
البحرُ عكبوثُ
وأنت — في شركه — فراشة تموتُ
وانتصت كالقطعة البائرة
وانتصت في حقل الريح والأمواج
(ثدياها من رجاء
وجسد من عالج)
وامتنت مبحرة في رحلة مجهول . فوق الربد المُهْتَاج
ناديت .. ما رُدْتُ ا
صرخت .. ما ارتدَّت !
وظل صوتي يتلاشى .. في تلاشيها ..

مزاهير

المزمور الأول

أعشق أسكدرية ،
واسكدرية تعشق رائحة البحر ،
والبحر يعشق قاتبة في الصغاب البعيدة !
. . .
كل أمسية : تنسل من جانبي
تجرد من كل أثوابها
وتحل عداثرها
لم تخرج عارية في الشوارع تحت المطر !
هاذا اقتربت من سرير التهجد والرزقة
اطرحني في ملاءاته الرعوية !
وامتحن .. تنتظر !

وراء الموجة الكامسة)

(حاسرة ، حاسرة)

إذ تطرى في غيبى الغريمة الساحرة

أو ترمى عيبك نحو ماسبة التي ترمى التاج ')

المزمور الثالث

لفظ البحر أعضاءها في صباح أليم

فرايتُ الكلام

ورأيتُ أظافرها الدموية

تَلَوَى على حصلة دهمية

فحشوتُ حراحتها بالرمال ،

وأدفاتها بسيد الكروم .

... ..

وتعيشُ معي الآن ا

ما بيننا حائط من وجوم

بيننا نسماث الغريم

كل أمسية ..

تسلل في ساعة المَد في الساعة القمرية

تستريح على صخرة الأبدية

تسمعُ سخرة الموج من تحت أقدامها

وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم

تصاعدُ من شفتها المُمسِحتين رياحُ السَّوم

تساقط أدمعها في سهوم

والجوم

(العريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطها

وتعدُّ الجوم

في انتظار الحبيب لقديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

هجاة .. يَجْفُلُ عَطْلُ القلب

مَهْزُ الكَرَمَات الرصاصية في سَلْتِه

(هل أصبح الوحدة أم أصبحت المصروع بالحناء ؟)

في الخارج أسوار وأسطار ،

غلاف الليل ينشق عن الرعد

غلاف القلب ينشق عن الوجد

مساحات من الضوء الرمادي

أنا النافذة المغلقة السوداء

والنفاضة الحمراء

والأسماء

(إسمي كان مكتوباً على طرف قميصي

قبل أن يعلّق في سلك الخلود الشائك !)

النهر ضميري (ولعينيك أنساب النهر)

ما أقسى انتظاري ! ..

وفؤادي ساعة رملية صفراء

تهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً

ربما للرمل طعام الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فسائلك في الصيف من الكتان ،

وترهره في صدرك بيصاء ،

ولكن الشتاء لآن يكسوك بوس و سرجس

(حتى ورقة الثوب عن حديث . صفراء ')

هل الماء يبيض الآن في البر ؟

هل الماء يبيض الآن في البر ؟

أماء ؟ أم دم ؟

(هذا السدى القاتل ذو الوجهين)

كان الناي يمتد من الصفة للصفة

من صدرك إلى صدرك

كان الناي ممتداً

ونون الليل بين البرقائي — الرمادي — السماوي

وفي شعرك عدايت من الوحشة والصمت ؛

هوى نحيب ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشحج لعاير

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي شبة شبة صصكت يدي في كتفه سحري

على وجه الحذر '

المزمور السادس

عَنْ صَوْتَان ..

(إِدْنِ وَالصَّوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْتَيْنِ ٢١)
تَرَّهْنَا عَلَى حِطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،
لَمَلَمْنَا السَّفْسِخَ
وَتَسَنَّنَا شِعَاعَ الرَّهْمِ ، حَنَنْنَا مَرَاتِجَ الْيَبُوثِ
وَقَدَحْنَا حَجَرَ الْحُبِّ ؛ جَلَسْنَا تَوَهُجَ
فَاحْلَمَى بِاسْمِي ، وَبَاسَمَ الْعَكِيوْثِ
بِاسْمِ بَقِيَّةِ الدَّكْرِائِبِ السُّفْعَرِخِ
وَرَكَايَ الدَّكْرِائِبِ السَّرِخِ
أَبَا وَرَقَةَ تَوْتُ
سَقَطَتْ عَرِ عَوْرَةَ الصَّبَفِ ،
وَصَلَتْ سِدْحَرِخَ
مَوْقِفًا سَفْرِخَ
(دُونَ أَنْ تَطْرُفَ) حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْبَهْرِ
وَارْتَدَّ السَّكُوْثُ ؛

المزمور السابع

جَاءَ الْإِنْسُ الْمَيْتُونَ ، يَحْمِلُونَ
كِفَانَهُمْ ؛ أَطْيَارُهُمْ لَيْسَتْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ؛

يَسْتَعْسِرُونَ :

؛ مَاذَا أَقْبَى بَنَاهَا ١٢ ؛
أَتَيْتُ بِكُمْ امْرَأَةً خَاطِلَةً
نَهَوْدَهَا دَاهِلَةً
وَلَحْمَهَا مُعْطَرُ الْكُفْهِ
قَدْ اسْتَدَارَتْ فِي فِرَاشِهَا بَرَهَةً
عَانَقَتْ الْجِدَارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ
؛ يَا أَيُّهَا الْجِدَارُ .. لَا تُبَيِّحْ بِنَا تَرَى
وَلَا تُقْلِعْ عَنِ الدِّينِ يَوْلَدُونَ
وَعَمِمْ الْجِدَارَ ؛
يَا صَدِيقَتِي الطَّمْلَةَ
مَاذَا الدِّينُ يَسْأَلُونَ !
وَمَرَّتِ اللَّيْلَةُ
فَرِمَا كَانَ أَبَاكُمْ الْجِدَارَ ،
رَبِّمَا يَكُونُ !

المزمور الثامن
(شجوية)

لماذا يتابعني أينما سرتُ صوتُ الكَمَانِ ؟
أُصافِرُ في القاطراتِ العتيقة ،

(كى أتحدّث للعرباء المُسْتَبْر)

أرفع صوتي ليظمي عن صرخة العجالات
وأغمو على بصابتِ القطارِ الحديدية القلب

(مهذر مثل الضواحي)

لكها بعثة .. تتباعد شيئاً فشيئاً

ويصحو بداء الكمان !

• • •

أسيرُ مع الناس ، في المهرجانات

أصمى لبوق الجودِ الحُماصِ

يملاً حلقى غبارَ الشيدِ الحماصِ

لكننى فجأة .. لا أرى !

تتلاشى الصفوفُ أمامي

وينسربُ الصوتُ مبتعداً

ورويداً . رويداً يعود إلى القلب صوتُ الكمان

لماذا إذا ما تبيّثُ للوم يَأْنِي الكمان ..

فأصغى له آتياً من مكان بعيد

فتصمت مهممةً الريح خلف الشبايلك ،

تفيضُ الوسادية في أذني

تراجعُ دقائق قنبي ،

وأرحل في مدن لم أَرُزها

شوارعها فضة .

وبناياتها من خيوط الأشعة

ألقى التي واعدتني على ضفةِ النهر واقفة !

وعلى كتفها يحطُ الحمامُ الغريبُ

ومن راحتها يقطُ الحنان !

أحبك ، صائر الكمان كعوبٍ بتادق

وصائرُ حمامِ الحداثق .

فأبلى تسقط في كل آن

• • • • •

وعاب الكمان !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي صاحبي : وهو يلقى بدرهم في الهواء
ثم ينقعه ..

(تخرجني من الدرس كذا . وحرر الطفولة فوق برد
والعصفير تمرق عبر السيوت ،
وتهبط فوق الخيل البعيد !)

... ..

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح لي .. فانتبهت ، وزفت ذياه
حول عيني لامعني ..
فقلت : « الكتابة »

... فتح اليد مبسما ، كان وجهه المليح السعيد
باسما في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صحت فيه بدوري ..

فرفر في مقننيه الصبا والسجاة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعم . أو يرتدك

وفضحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزا في صلاة !

دارت الأرض دورتها

حمتنا الشواذيف من هذأة النهر

ألقت بنا في جداول أرض اسرية

نتعرق بين حقول الأسى .. وحقول الصباة .

قطرتين ! التقيا على سلم القصر ..

دأت مساء وحيد

كث فيه - نديم الرشيد

بيننا صاحبي .. يتولى العجاجة !!

— احرسوا

وتسلل في الخلق محيط من الدم

كان ألي يمسك الجرح ،

يمسك قامته .. ومهاتته العاكلة !

— يا ألي

— احرسوا

وتواريت في ثوب أمي ، والطفل في صدرها مائتس

ومضوا بأني تاركين لنا الهم متشعاً بالحرس

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يمسك بالوجهين

والفقراء بين يني !

(الورقة الثالثة)

ناكماً كنت بجانبه : وسحمت الحرس

يوقظون ألي !

— حارحي

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخ الطفل في صدر أمي

(وأمي محبولة الشعر واقفة في ملابسها المدرية)

— احرسوا

واختبأنا وراء الجدار

(الورقة الرابعة)

أيها الشعر .. يا أيها القرح المختلس

... ..

كل ما كنت أكتب في هذه الصفحة الورقية

صادرتة العسس

... ..

(الورقة الخامسة)

... وأمي محادمة فارسيه

يَتَنَاقَلُ سَادَتُهَا قَهْوَةَ الْخَنَسِ وَهِيَ تَدِيرُ الْحَطَبَ
يَتَبَادَلُ سَادَتُهَا النُّظُرَاتِ لِأَرْدَافِهَا ..

عِنْدَمَا تُنْحَنِي لَتَضِيءَ اللَّهَبُ
يَتَنَدَّرُ سَادَتُهَا الطَّبِيرُونَ بِلَهْجَتِهَا الْأَعْجَمِيَّةِ !

• • •

بَائِئِمًا كُنْتُ جَانِبَهَا ، وَرَأَيْتُ مَلَكَ الْقُدْسِ
يَمْحَنِي ، وَيُرِيَّتُ وَجْهَتَهَا

وَتَرَاخَى الدَّرَاعَانِ عَمِي قَلِيلًا
وَسَارَتْ بِقَلْبِي قُشْعَرِيرَةٌ الصَّبْتِ

— أُمِّي ؛ وَعَاذَ لِي الصَّوْتُ

— أُمِّي ؛ وَجَاوَيْسِي الْمَوْتُ

— أُمِّي ؛ وَعَانَقْتَهَا .. وَبَكَيْتُ

وَعَامَ لِي الدَّمْعُ حَتَّى احْتَبَسَ !

• • •

(الورقة السادسة)

لَا تَسْأَلْنِي إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ
مَحْلُوقًا أَوْ أَرْزَلِي

بَلْ سَلِّئْنِي إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ
لِصًّا .. أَوْ نَصَفَ نَبِيَّ

(الورقة السابعة)

كَثُتْ فِي كَرْبَلَاءَ

قَالَ لِي الشَّيْخُ أَنَّ الْحُسَيْنَ
مَاتَ مِنْ أَجْلِ حَرِيعَةِ مَاءٍ

...

وَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ السُّيُوفُ اسْتَبَاحَتْ بَنِي الْأَكْرَمِينَ
فَأَجَابَ الَّذِي بَعَثَتْهُ السَّمَاءُ
إِنَّهُ الذَّهَبُ الْمُتَلَالِيءُ فِي كُلِّ عَيْنٍ

... ..

إِنْ تَكُنْ كَلِمَاتُ الْحُسَيْنِ
وَسُيُوفُ الْحُسَيْنِ

وجلال الحسين
سقطت دون أن تنفذ الحق من ذهب الأمراء
أقتصر أن تنفذ الحق ثروة الشعراء
والمرأث لسان من الدم لا يجذ الشفتين ١٩

• • •

(١)

اللوح الأولى على الجدار :
ليل « الدمشقية »
من شرفة « الحمراء » تروى لمعيب الشمس ،
تروى للحيوط المرتقالية
وكرمة أندلسية ، وسقية

وطبقات الصمت والغبار

لنقى

(مولاي ، لا غالب إلا الله)

مات من أجل جرعة ماء
فأسقني يا غلام صباح مساء
أسقني يا غلام ..
علمي بالمدام ..
أنتامى الدماء !

اللوحة الأخرى .. بلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكان قبل أن يحترق الرواق)
 وقبة الصخرة ، والأثراف
 وآية تأكلت معروفها الصغار !
 نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. انار !)

اللوحة الدائمة الخطوط ، والواهي الخيوط :
 لعاشق يحترق الأحفان
 كان اسمه « سرحان »
 يمسك سدقيّة .. على شفا السقوط
 نقش

(بنى وابن الناس تلك « الشجرة »
 لكن من يقبض فوق الثورة
 يقبض فوق الجمرة !)

اللوحة الأخيرة
 حريصة مبتورة الأجزاء
 كان اسمها « سياء »
 وطلحة سوداء
 تملا كل الصورة

نقش
 (الناس سواسية — في الدل — كأساني المشط
 ينكسرون — كأسنان المشط
 في لحيّة شبح المصط)

• • •

كتابة في دفتر الاستقبال :
 لا تسألني النيل أن يعطى وأن يندى
 لا تسألني .. أبدا
 إني لأفتح عيني (حين أفتحها !)
 على كثير .. ولكن لا أرى أحدا !!

بيعون سيارات أصحاب الملايين .. الرباحين
 وفي المترو .. يبيعون الدبابيس وفي بس
 ويسئون في الليل يبيعون .. الختارين
 لأفواح العراة السالحين !

... ..
 هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خرجوا من صُلُبها ..
 وانفروا في تربها ..
 وانطرحوا في حُبها ..
 مُسْتَشْهِدِينَ !

... ..
 فادخلوها .. بِسَلامٍ .. آمين !!

.. خاتمة ..

آه .. من يُوقِفُ في رأسى الطواحين ؟
 ومن يَنْزِعُ من قُلُوبِ السكاكين ؟
 ومن يَقْتُلُ أطفال المساكين ..
 لئلا يكبروا في الشَّقِيقِ المفروشة الحمراء
 خدامين ..
 مأبوسين ..
 قوادين ..
 من يَقْتُلُ أطفال المساكين ؟
 لكيلا يصبحوا — في الفِدِّ — شحاذين ..
 يستجيبون أصحاب الدكاكين
 وأبواب المرائب

أفتوال جديدة
عن
حرب البسوس

مقتل كليب في الوصايا العشر :

منظر : كليب ، حواليه وتحسر ، وذرف دموعه وتعب ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له . أريد منك يا عيد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا العدير ، لأنك وصيتني
إلى أختي الأمير سم الزهر ، فأوصيه بأولادي وهدية كبدى

مسحبه العيد إلى قرب البلاطة ، والرمح عارس في ظهره ، واندم
يقطر من حبه فعمس : كليب : إصبعه في لدم ، وحفظ عن
البلاطة وأشأ يقول .

قصبة الأمير سالم الزهر

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

. ولو محوك الذهب

أثرى حين أفقاً عيبك ،

ثم أثبت جوهري مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هى أشياء لا تشتري .

ذكريات الطفولة بين أحبك وبينك ،

حسبكما - فجأة - بالرجولة ،

هذا الحياة الذى يخبث الشوق .. حين تمنقه ،

الصمت - مبتسم - لتأيب أمكما ..

وكأنكما

ما تزالان طفلين !

تلك الطمانينة الأبدية بينكما :

أن سلفان سيفك ..

صوتان صولك

أنك إن مك :

للبيت رب

وللطفل أب .

هل يصير دمي - بين عيبك - ماء ؟

أنتسى ردائي الملطخ ..

تليس - فوق دماي - ثياباً مطرزة بالقصب ؟

إمها الحرب !

قد تثقل القلب ..

لكن خلفك عاز العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوغل الهرب !

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى يدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرأس سواء ؟ !
أقلب الغريب قلب أحبك ؟ !
أعياه عما أحبك ؟ !
وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك
ييد سيفها أكلت ؟

سيقولون :

جناك كى تحقن الدم ..
جناك . كن — بالمير — الحكيم

سيقولون :

ها نحن أباء عم .
قل لهم : إهم لم يُراعوا العمومة فيمن قتلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .
إننى كنت لك .
هارساً .

وأحاً .
وأباً .
وتلث !

(٣)

لاتصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخات الدامة .
وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السوداء والأطفال الذين
لخاصتهم الإبتسامة)
أبنت أحبك « البمامة »
رهرة تسربل — فى سنوات الصبا —
بشباب الحداد .

كنت ، إن عدت :

نمدو عى دَرَج القصر ،
نمسك ساقى عند نزولى ...
فأرقمها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواذ .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يد الغدر :

من كلمات أيها ،

أرتداء الثياب الجديدة ،

من أن يكون ها — ذات يوم — أخ ١

من أب يتبسّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوج أعصها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحماذه نحو أحضانها ،

لئنالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحيته (وهو يستسلم)

ويشعلوا العمامة

لا اتصالح ١

فما ذنب تلك الإمامة

لترى العشر محترقا .. فجأة ،

وهي تجلس فوق الرماذ ١ ؟

(٤)

لاتصالح

ولو توجوك بتاج الإمارة .

كيف تخطو على جثة ابن أهلك .. ؟

وكيف تصير المليك ..

على أوجّه البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر لي يد من صافحوك ..

فلا تبصر النّم ..

في كلّ كف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يبرقك من ألف خلف .

فالنّم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالح ،

ولو توجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك . ريف

إذا لم تزن — بدوائنه — لحظات الشرف

واستطبت — الترف

لا تصالح

ولو قال من مال عبد الصديق

« .. ما بها طاقة لامتشاق الحسام .. »

عندما يملأ الحق قلبك :

تذلع النار إن تشغس

ولسان الحياة بخرس

لا تصالح ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام .

كيف تستشق الرثايل السيم المذئس ؟

كيف تنظر في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تصبح فارسها في العرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تعلم أو تمنى بمستقبل لفلان

وهو بكبر — بين يديك — بقلب منكسر ؟

لا تصالح

ولا تفتسم مع من قتلوك الطعام .

وارو قلبك بالثم ..

وارو التراب المقدس ..

وارو أسلافك الراقدين ..

إلى أن تروى عليك العظام

لا تصالح ،

ولو ناشدك القبيلة

باسم حربي « الحليمة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

في هذه السوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جميل فجميل .

وعلى ..

سوف يولد من بلسُ الدرغ كاملة ،
يوقد النار شاملة ،
يطلب النار ،
يستولد الحق ،

من أضلع المستحيل .

لا تصالح ،

ولو قيل إن التصالح حيلة .
إنه النار .

تبث شعلته في الضلوع ..

إذا ما توالى عليها الفصول ..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
سوق الحياة الدليلة ! .

(٧)

لا تصالح ، ولو حذرلك النجوم
ورمى لك كهناتها بالنبا ..
كنك أغفر لو أنني ميت ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ .

لم أكن غانها ،

لم أكن أنسلل قرب مضاربهم

أو أحوم وراء التخوم

لم أمدّ يداً لئام الكروم

أرض يستأنهم لم أطأ

لم يصيح قاتلي لي : « النية » !

كان يمشي معي ..

ثم صافحني ..

ثم سار قليلاً

ولكنه في الفصول أختبأ !

عجأة :

تقبض قشعرته بين صلعين ..

واهتز قسي — كفقاعة — وانفث .

وتحاملت ، حتى احتلمت على ساعدتي

فأريت : ابن عمي الزنيم

واقفاً يتشمي بوجه لحيته

ليقتلني بمشيئة
ليس أكل مني . ليقتلني يسكتني ،
ليس أمهر مني .. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين نذرين .

(في شرف القلب)

لا يُتَقَرَّر

والذي اعتالي مَحْضُ لَمَرٍ
سَرَقَ الْأَرْضَ مِنْ بَيْنِ عَيْنِي
والصمتُ يُطْلِقُ صَاحَتَهُ السَّاجِرَةَ !

(٩)

لا تصالح ،

ولو وَقَعْتُ صَدًّا سَيُفَكُّ كُلُّ الشُّبُوحِ ،
والرجالُ التي ملائمتها الشُّرُوحُ ،
هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طَعْمَ الْكَيْدِ ،
وامتنعوا العييل ،

لم يكن في يدي حياة ،

أو سلاح قديم ،

لم يكن غير عظمي الذي يتشكَّى الظُّمَأُ .

(٨)

لا تصالح ،

إلى أن يعود الوجودُ لنورته الدائرة :

البحر .. لمقاتلها

والطيور .. لأصواتها

والرمال .. لذراتها

والقنبرلُ لطقاته الناطرة .

كلُّ شيءٍ تحطمَ في لحظة عابرة :

الصبا — هجعة أهل صوت الحصان — التعرف بالصبي — مهملة

القلب حين يرى برعماً في الحديقة يدوي — الصلاة لكي ينزل المطر

الموسيقى — مراوغة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرزف فوق المبارزة الكاسرة .

كلُّ شيءٍ تحطمَ في نزوة فاجرة .

والذي اغتالني : ليس رعباً ..

هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم ،
وسوءهم العريّة قد نسيّت سواك الشموع ،
لا تصالح ،

فليس سوى أن تبتذ .

أنت فارسٌ هذا الزمان الوحيد
ومسواك .. المسوخ !

((١٠))

لاتصالح
لاتصالح !

« فلما جاءت الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت الإمامة . فقصدت الى الإمامة أمها الجليلة ومن مع
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعاً عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلك رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها الإمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق .
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

أبى .. لا مزهذ !

أهدأ أبى ، عند بوابة القصر ،

هوق حصاني الحقيقة ،

منتصباً .. من جديد

..

ولا أطلب المستحيل ، ولكنه العدل .

هل يرث الأرض إلا بوهما ؟

وهل تناسي الساتين من سكنوها ؟

وهل تتكبر أعصابها للحدود

(لأن الحدود تهاجر في الاتجاه المعاكس ؟ !)

هل تترجم قيامة الصمت ..

الا إذا عادت القوس تدرع أوتارها القصية ؟

والصنبر ! حتى متى يتحمل أن يحبس القلب .

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟

... ..

هي الشمس ، تلك التي تطلع الآن ؟

أم أنها العير - عير القنيل - التي تتأمل شاحصة :

ذمة يترسب شيئاً فشيئاً ..

ويختصر شيئاً فشيئاً ..

فتطلع من كل بقعة دم . هم قمرى ..

ورهره شر .

وكما قاضناي على محبل من حديد ؟

هي الشمس ؟ أم أنها الناح ؟

هذا الذي يتقل هوق الرؤوس الى أن يعود

الى مفترق الفارس العربي الشهيد ؟

.. ..

أقول لكم : أيها الناس كونوا أديبا !

هي النار ، وهي الدسا الذي يتكنم باحق ؟

ان الجروح يظهرها الكس ،

والسيف يصفه الكثير .

والخبر يصحبه الوهج ،

لا تدخلوا معبداتى المياء ..

بل معبداتى النار ..

كونوا لها الحطب المشتكى والقنوت . الحجارة ،

كونوا .. الى أن تعود السماوات رضاء ،

والصحراء بشولا .

تسير عليها السحوم محملة بسلال الورد

... ..

أقول لكم : لا نهاية للنعم

فل في المدينة يصرب بالبوق ، ثم يظل الحيد

على سرير النوم ؟

هل يرمع الفخ من ساحة الحقل .. حتى تطمئن العصور

أن الحمام المطوق ليس يقدم نصته للثعابين ..

حتى يسود السواد

فكيف أقدم رأس أى ثمأ ؟

من يطالسى أن أقدم رأس أى ثمأ . تهر الفواضل آمنة .

وتسبح بسوق دمشق : حريرا من الحديد ،

أسلحة من بخارى .

وتشاع من بيت جبال العمية .

مراثى الإمامة ،

صار مراثنا في يد المرباء .

وصارت سهوف العدو : سفوف منازلنا .

نحن عباد همس بشير بأوراقه نخو أزوقه الظل .

إن التوهج الذي يتناول :

يخرق هامته السقف ،

يخطر قائمته السيف ،

إن التوهج الذي يتناول :

يسقط في ذممه المنسكب !

ستبقى — بعد خيل الأجاب — من مياه أبارنا .

سوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجنة .

النار لا توهج بين مضاربنا .

بالعين الخفيفة نستقبل الضيف .

أبكأنا نيات ..

وأولادنا للفراش ..

ودراهمنا فوقها صرة الميك المقتضب .

أبأدى الصبايا الخنائن تصم على صدره نصف ثوب
وتبقى عيون كلوب مسمرة في شواشي الخائس .

أسأل :

من للصغار الذين يطرون — كالتحل — فوق التلال ؟
ومن للعداى اللواتى جعلن القلوب :
قوارير تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروض مهر الخيال ؟

ومن سيضمد — فى آخر الصيد — جرح الغزال ؟
ومن للرجال ..

إذا قيل : ما نسب القوم ؟ ...

فانكبت فى حدود الرمال دموع السؤال ؟

بنات أبى — الزهراء الصغيرات — يسألننى

لم أبكى أبى !

ويمكن مثل ،

ويخلدن للتوهم حين أغائب دمعى ،

وأروى لمن الحكايا

عن الملك السر

والجندى العليب

فإن يمن .. جاء أبى .. ليهز الأراجيح ..

يلمس وجناحين ..

ويعطى لمن اللعب ..

ويعصى .. وعيناه مسلفتان ..

وساقاه تشتكيان التعب ..

أبى ظامىء يارجال

ألقوا له الدم كى يرتوى .

وصبوا له جرعة جرعة فى العوايد الذى يكتوى

عسى دمه المنسرب بين عروق البائات ،

بين الرمال ..

يعود له قطرة قطرة ..

فيعود له الزمن المنطوى .

.....

محصومة قلبي مع الله .. ليس سواه
أبهي أتعذ الملك سيعاً لسبب ، فهل يؤخذ الملك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته يدا الله بالتاج ؟ !

هل تُزع التاج إلا اليدين المباركين ،

وهل هان ناموس في الديانة

حتى يتوج لصر .. بما سرقته يده ؟

محصومة قلبي مع الله ..

إني أنزه سهم مني أن يحيى من الخلف ،

إن الذي يطعن السهم ليس هو القوس .

بل قلب صاحبه ،

والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبلى واحبه

فأنا أرفض الموت عدواً ..

فهل نزل الله عن مهمو الذهب لمن يستهين به .

هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

محصومة قلبي مع الله .. ليس سواه !

كلب يموت .

ككلب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله إنسانه ؟

مات من مات كلباً .. فأين إند ذهب الآدمي الذي

قد براه ؟

محصومة قلبي مع الله

قلبي صغير كفتق الحزين .. لكنني في المواقف

أنتقل من كمع الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ،

من اعترف الماء من جئول الدمع ،

هل ليس الموت ثوب الجنداد الذي حاكه .. ورماء ؟

محصومة قلبي مع الله

أين وراث أبي ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أبي حق أن يتناقض أنه عنه

فكيف يموت أبي مرتين ؟

أبها الأنجم المطلوبة الوجه :

قولى له :

فقد سلّبت خيبتين ..

أبنتى حياه

ورّد حياه ..

محسومة قلبي مع اللو .

هذه الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكّسا العظم بالذبح ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهو تقبل بوثى : تسبب ما شابه العيب ،

ألم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشئ للأصل ،

أن يرجع البعد للقبل ،

أن يهضر الجسد المتزوّج مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً في بهاء ؟

(٣)

بجىء أعشى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه الشرق ؟

هل يمتنطق فوق جوارى السحاب ؟

بجىء أعشى !

غافلاً عن كتاب الموارث

عن دمو الملكى ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

بجىء أعشى .

(كان يعرفه القلب !)

أقذف تقاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركاب !

(هى الخطأ البشرى الذى حرم النفس فردوسها)

(الأول المستطاب)

أنتى ، فأقذف تقاحة ..

تستقر على رأس حريتى !

(أيها الوطن المستدير .. الذى تثقب الحرب عذرتة)

(بالحراب)

.. وتفاحة تلتقيها يده !

(هى جوقرة المثلث ،

جوقرة المثلث ،

جَوْهَرَةُ الْحَبِّ ..

فَالْحَبُّ آتٍ !

..

قُذِيبُ ثَلَاثِيَّةٍ شَارَةُ الرَّمْلِ الْقَادِمِ الْمُسْتَجَابِ

قَفُّوا يَا شَبَابِ !

لَمَنْ جَاءَ مِنْ رَحِمِ الْغَيْبِ ،

نَحَاصِرَ بِسَاقِيهِ فِي بَرَكَةِ الدَّمِ ،

لَمْ يَتَأَثَّرْ عَلَيْهِ الرِّشَاشُ ،

وَلَمْ تَبْدُ شَائِبَةٌ فِي الثِّيَابِ !

قَفُّوا لِلْهَلَالِ الَّذِي يَسْتَلِمُهُ ..

لِيَصْبَحَ هَالَاتُ نَوْرِهِ عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَهَابٍ !

قَفُّوا يَا شَبَابِ !

كَلْبٌ يَعُودُ ..

كَمَعْقَاءَ فَدٍ أَحْرَقَتْ رِيشَهَا

لِتُظَلَّ الْحَقِيقَةُ أَبْسَى ..

وَيَرْجِعَ حُلَّتُهَا — فِي سَنَا الشَّمْسِ .. أَزْهَى

وَتَقَرَّدَ أَجْنَحَةُ الْغَيْدِ ..

هَوَّجَ مَدَائِرَ تَهْصُّ مِنْ ذِكْرِيَّاتِ الْخَمِيرِ !!

١. أَشَارَاتُ تَارِيخِيَّةٍ ،

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين فيس ، وأشعلت الحرب أربعة
سنة ، وأثارت بين بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهو
كما تقول الرواية (شاعرة عموز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتياذ
وخفاج) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. همد .
البسوس) وهي أخت الملك حسان النعماني الذي قتله الأمير كليب م
أجل أخته عمه وخطفته الجلييلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وأبناؤه وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، وتربى على
حرب ، لم تولى قيادة الجيش ليكر وتغلب زمنا .. فكان لبث الصدام
وربنة اللواتي كما تقول الرواية .

دليلة بنت صرة .

وقد احتصمت مع أمها لأنها أخت قاتل كليب .. حتى رحله
الجليلة مع قومها .

شاعره . أمة عم كليب وروجه التي أحببت له سبعة بنات
ولدت بعد موته هو (المحجور) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب عى يد أخيها جساس خرجت من
حلب وتنقلت مع بى شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

ساعة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية لى أبي
ثابت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والى
ونسأه ركب يهد لناكم »

جاسس بن صرقة :

عندما أعلته الجمامة وصبة أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

ابى عم لكليب وقتله بعد ان محبت اليسوس (التى اقامت في
جافته) في أن تثير الفتنة بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا نافقها الحربي
فى البستان المعروف بحى كليب وتدمر الأشجار والأسوار
فى أمر كليب بدمج النافقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل في
رب اليسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحى مصرع جساس
بين عامي .

لهل بن ربيعة :

هو سام الملقب بالزهر أو أسو يلى المهلهل الكبير أخو
جيب ويطلق السيرة والملحمة .. يصعب الرواه (بالاسد الكزور والبطول
مورر صاحب الأشعار البديعة والوقائع الملهولة المهمة)

« تدليل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمر أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزاً للمجد العرفي القليل .
للأرض العربية السليبة التي تريد أن تعود إلى الحياة مرة أخرى ولا يريد
سبيلاً لعودتها أو بالأحرى لاعادتها إلا بالدم . وبالدّم وحده .

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحصرت
شخصيات الحرب وجعلت كلاً من يدلى شهادتها التاريخية حول رؤى
الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادته
المختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحصرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدت
الجماعة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهمل الذي
قاد الحرب انتقاماً له .. وقدمت شهادة حساس مع تهراته جريته ثم

شهادة جليلة بث مرة الممزقة بين البطون .. « زوجها وأحبها » ثم أتيت
بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دوراً معنقاً على
الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته، الأخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين :
قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر » ، وأقوال الهامة ومراثيها ، وقد
كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمل قد
ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع
الشاعر باكتمالها النهائي ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في
ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع
باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل ان تكتمل شهاداته (قصائده) في دمه
المبدع ، وقبل أن يقنع دمه المبدع بصيحه ابداعية أخيرة ، وقبل أن
يتنقم الهمز لمقتل أحبه كليب ، وقبل أن تصعب الحروب روزارها ، لتطرق
الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الابداع ، أو يتحقق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

عم صباحاً أيها الصقر المُنَجِّع
صبر صباحاً .
سنة غمضي ، وأخرى سوف تأتي .
فمضى يقبل موتى ..
قبل أن أصبح — مثل الصقر —
صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر فريش

الورقة الأخيرة الجنوني

صورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم إن الذي كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أُنِي جالساً ، وأنا واقف .. تتدلى يداي !

رسمٌ من قَرَسٍ
قُرِئت في جيبني شجراً ، وعلمت القلب أن يحترس .
أَتَذَكُرُ ...
سأل دمي
أَتَذَكُرُ ..
مات أُنِي بارعاً .

أَتَذَكُرُ ..
هذا الطريق إلى قبره ..
أَتَذَكُرُ ..
أُغنى الصغيرة ذات الريحين .
لا أَتَذَكُرُ حتى الطريق إلى قبرها
المتطمس

أَو كان الصبي الصغير أنا ؟
أم ترى كان غيري ؟
أَحَدُكُ ..
لكن تلك الملامح ذات العلوية .
لا تنتمي الآن لي .
والعيون التي تترقق بالظلمة
الآن لا تنتمي لي .
صرخت عني غريباً .
ولم يبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمي .

وأسماء من أندكرهم — فجأة —

بين أعمدة النعمى ،

أولئك الغامضون : رفاقي صباى .

يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..

فيجتمع الشمل كل صباح ،

لكى نأقش .

وجهه

كان يسكن قلبي

وأسكن عرته

نتقاسم نصف السرير ،

ونصف الرعيص ،

ونصف اللعافه ،

والكتب المستعارة .

هجرته حبيته في الصباح فمَرَّق شربانه في المساء ،

ولكنه بعد يومين مَرَّق صورتها ..

واندهش .

لم يتحدث .

واستراح من الحرب ..

عاد ليسكن بيتا جديداً

ويكسب قوتا جديداً

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويجادل أصحابه حول أخرة الشاي ..

لكنه لا يطيل الزيارة .

عندما احتقت لوزاته ، استشار الطبيب ،

وفى غرفة العمليات ..

لم يسطحب أحداً غير ثُغف ..

وأنبوبة لقياس الحرارة ،

فجأة مات !

لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،

واسحبت من على وجهه سواث العدايات ،

عاد كما كان طفلاً ..

بشاركنى فى سرى
ولى كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا بشاركنى .. فى المرارة !

وجه

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أبها صغدا
لم يمض
هل يموت الذى كان يحيا
كأن الحياة أبدًا !
وكان الشراب نفذ !
وكان الثياب الحميلات يمشين فوق الرهد !
عاش متصبًا ، يما
يحس القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أبها الذى ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره ..
وهو مضحك ،

من أقاصى الجنوب أنى ، عاملاً
للبياء
كان يصعد « سقالة » ويغنى هذا المصنوع
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسج المائدة .
لم أجد غير عيين لا تبصران ..
ونعيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

وهو يفكر ،

وهو يفتش عما يقيم الأود .

ليت أسماء تعرف أن النبات الجميلات ..

غيبانه بين أوراقهن ،

وعلمنه أن يسمر ..

ولا يلتقى بأحد !

مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟

— إن الجنوى لا يطمش إلى اثنين يا سيدى :

البحر — والمرأة الكاذبة .

— سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،

فلم أستعنه

— هل تريد قليلاً من الخمر ؟

— إن الجنوى يا سيدى يتهب شوقين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .

— سوف آتيك بالثلج منه .

وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...

فلم أستعنه .

بعدها لم أجد صاجي

ثم يعد واحد منهما لى بشق

— هل تريد قليلاً من الصبر ؟

— لا ..

الجنوى يا سيدى يشتهي أن يكون الذى م يك

يشتهي أن يلقى اثنين :

الحقيقة — والأوجه العائبة .

ضد من

بأني المعزَّون متشعِّين ..

بشارات لون الحديد ؟

هل لأن السواد ..

هو لونُ السَّجاة من الموت ،

لونُ القيمة ضد .. الزمن ،

ضد من .. ؟

ومتى القلب — في الخفقان — اطمأن ؟!

بين لونين : أَسْتَقْبِلُ الأَصْدِقَاء ..

الدين يرون سريري قبرا

وحياتي ... دهرا

وأرى في العيون العميقة

لون الحقيقة

لون تراب الوطن !

في عُرِف العمليات ،

كان نقابُ الأطباء أبيض ،

لونُ المعاطف أبيض ،

تأخ الحكيمات أبيض ، أودية الرهبات ،

الملاءات ،

لونُ الأسرة ، أربطة الشاش والقطن ،

قرصُ الموت ، أنبوبة المصل ،

كوبُ اللبن .

كلُّ هذا يشيعُ بقلبي الوهن .

كل هذا البياض يذكرني بالكفن !

علمادا إذا مت ..

ثم أفاق على عرصها في رجاء اندكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشتريها اليد المتعضلة العابرة

تحدث لي ..

كيف جاءت التي ..

(وأحرأها الملكية نزع أعنتها احصر)

كي تمنى لي العمر !

وهي تجود بأنفاسها الآخرة !!

كل باقة ..

بين إغماءة وإفاقة

تنفس مثلي — بالكاد — ثانية ثانية

وعلى صدرها حملت — راضية ..

اسم قاتلها في بطاقة !

وسلاي من الورد ،

ألمحها بين إغفاءة وإفاقة

وعلى كل باقة

اسم حاملها في بطاقة

... ..

تحدث لي الزهراء الجميلة

أن أعينها اتسمت — دهشة —

لحظة التقطع ،

لحظة لفصيص ،

لحظة إعدامها في الخميعة !

تحدث لي ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

السريـر

أوهمنى بأن السريـر سريـر
أن قارب « رخ »

سوف — يحملني عبر نهر الأفاعي

لأولـد في الصبح ثانية .. إن سَطَعَ

(فوق الوري المصقول

وضعوا رقمي دون اسم

وضعوا تذكرة النـم

واسم المرض المجهول)

أوهمنى فصنعت ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقد الروح

فالتصقت بي أضلاعه

والجماد يضم الجماد ليحييه من مواجهة الناس |

صيرت أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. في انتظار المصير |

(طول الليالي الألف

والأذرع المعدن

تلغف وتمسكن

في جسدى حتى النزف

صيرت أقدر أن أتقلب في نومى واضطجاعى

أن أترك نحو الطعام ذراعى ..

واستبان السريـر ينادى ..

فارتعش |

وتداخل — كالقنفذ الحجري — على صمته وانكمش

قلت : يا سيدى .. لم جافيتى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أحبب الذين يمرون فوق

سوى بالانين

بالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة

والذين ينامون سرعان ما يتزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا
أو يغمسوا بنهر السكون !

لعبة النهاية

في الميادين يجلس ،

يصق — كالطير — سنه بالخصي

فيصيرها من يصيب من السابطة !

يوجه للبحر ،

في ساعة المد :

يعطرح في الماء سنارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكتب أسماء من علقوا

في أحابله القاتلة !

لا يحب البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتفصن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخرافية
الدابة ١

يتحول : أضي .. وثايا
فيرى في المرايا ::

جسدين وقلبين متحدثي ،
(نعيم الزوايا
وتحكى العيون حكايا)
ينسل بيهما .

مثل خويط من العرق المتصدي ،
يلعق دفاً مسامهما ،
يفرس الثاب في موضع القلب :
تسقط رأس الفتى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. ١

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري
ممسكاً — بيد — كوب ماء
ويعد — محبوب اللؤلؤ
فتناولتها .. ١
كان ميتساً
وأنا كنت مستسلماً
لمصري !!

عن لذة الاعتراّب
وعبودية الأغصان الثابتة .

(٢)

أحدوا أصدقائي للسجن .
لكمهم في ليالي الحنين
يقصرون ، لشرب كأسني
في البار ذي الردهة الخالية
فإذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاحتفى أصدقاؤى وهم يضحكون
— لتلقى ثانية
— لتلقى الليلة التالية ..

... . . .

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون

كان ما بينهم : ذكريات .. ونخبز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تساقط أوراق : ديسمبر : الباهتة !

.. ..

هو غمر من الريح
(هذا الذي بين أن تترك الورقة العصف
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
غمر من الاضطراب

فافتش جوارى — أيتها الباحثات عن الدات —
وحه التراب

ونعالين نروي الأقاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
همتي يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الحنون ؟

(٣)

هاهو الرُّحُّ ذو الخليلين محومٌ ..
ليحمل جثة ديسمر الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلامٌ على الأرض !)

يا أيها الرُّحُّ : كم جثة حملتها بحالك الأبدية حلم الجبل ؟؟
ما الذي يحس بعطبك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟
ما الذي يحس بعطبك ؟
لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،
إلا ابدالة الحائثة .
جثث تتراكم في الضمة الساكنة

بيها يحس — تمتك الورد
عشب البحيرات — صوب الكاريا —
محالسة الورد — أشودة المهد — رقص
النبات الصغيرات في العرس — تمسمة
القط في الصلوات — مجهر النايح —
هذا التساؤل عن لون عيين عاشقتين ،
كناهدين على البحر — طعم القيل ،
بيها أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى العبابات تلو العبابات دون كبل
عاجرا عن ملامسة الفرح العذب ،
عن أن تبلى جاحك في مطر القلب
أب تتطهر بالركة الغائبة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إس أنتك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بي الريح أرسو —

وليس معي غير .

حرق المقيم
وجواز السفر !

الطيور

(١)

الطيور مشردة في السموات ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تنفاذها ملوثة الرياح !
ربما تنزل ..
كفى تستريح دقائق ..
عوق السحيل — السحيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —
حواف الشبايك والمشرقيات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القب تبيدة ،

والفمُ العذبُ تغريدةً ،

والقطُ الرزقُ .. (

سرعان ما تضرعُ ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميلة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصباح !

الطيورُ معلقةٌ في السمواتِ

ما بين أنسجة العنكبوتِ العصائى - ليريج

مرشوقةٌ في امتداد السهامِ منصبة

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستبحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غيرُ الفراز ..

الفراز الذى يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيورُ التى أقعدتها مخالطةُ الناس .

مرّت طمأنينةُ العيش فوق مناميرها ..

فانتحى ،

وبأعنها .. فارتحى ،

وارتصت أن تقاؤ حول الطعام المتأخ

ما الذى يبقى ها .. غير سكبىء الدبح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليدَ الآدمية .. واهبةُ القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيورُ .. الطيورُ

تحتوى الأرضُ جثمانها .. في السقوط الأُمير !

والطيور التى لا تطير ..

ضوت الريش ، وامستسحت

هل تُرى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير ١٩

الجناح حياة
والجناح ردى .
والجناح محبة ..
والجناح .. سدى !

الخيول

(١)

المتوحات — و الأرض — مكتوبة بدماء الخيول .
وحلود الممالك
رسمتها السابك
والركابان : ميزانُ عدلٍ يميل مع السيف ..
حيث يميل !

أركضى أو قفى الآن .. أيتها الخيلُ :
لست المفبراتُ صُبحا
ولا العاديات — كما قبل — ضُبحا

ولا خضرة في طريقك تحي

ولا طفل أضحي

إذا ما مروت به .. يتحى !

وها هي كوكبة الحربى الملكى ..

تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات

بندق الطبول .

اركض كالسلاحف

نحو روايا المتاحف ..

صبرى تمائيل من حجر في المادين

صبرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صبرى فولرس حلوى بموسمك البوى ،

وللصبية الفقراء : حصاناً من الطير

صبرى رسوما .. ووهماً

تجف الخطوط به

مثلما جف — في رمتك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراخض عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تملك الشمس والعشب

والملكوت الظليل

ظهرها .. لم يُوطأ لكى يركب الفداة المفايحون ،

ولم يلمس الجسد الحر تحت سياط المروض

والقم لم يمتثل للجوام ،

ولم يكن الزاد .. بالكاذب ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافز لم يكّ ينقلها السنبك المعدنى الصقيل .

كانت الخيل برية

تنفس حرة

متما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النيل

(٣)

الخيل بساط على الريح ..
سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان
والخيول جدار به انقسم
الناس صنم :

صاروا مشاة .. وركبان
والخيول التي انحدرت نحو هوة سياها
حملت معها جبل فرسانها
تركزت خلفها : دعة الندم الأبدى
وأشياخ خيل
وأشباة فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضي للقران
وأركضي أو قفي في طريق الفرائز .
تساوى محصلة الركض والرفض في الأرض ،

أركضي . أو قفي
ومن يتقاطع
واخترب أن تذهبي في الطريق الذي يتراجع
تندحر الشمس
بسحر الأمس

تندحر الطرق الجبلية للهوة اللانهاية :
الشهب المتفحمة

الذكريات التي أشهرت شوكرها كالفرايد
والذكريات التي سلخ الحروف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع
كل النايح إن لمست جدولاً من جدولها

تختفي

وهي .. لا تكتفي !

فأركضي أو قفي

كل درب يفقدك من مستحيل إلى مستحيل !

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبب من تعب

يستحيل دنائره من ذهب

في جيوب هوة سلااتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهية

وفي المتعة المشتراة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أنى الهول ..

(هذا الذى كسرت امه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى العرب — مرونة الوقت

صارت الخليل ناساً تسير إلى هوة الصمت

بينما الناس خيل تسير إلى هوة الموت !

جاء طوعاً بوح !

... ..

المدينة تعرق شيئاً .. شيئاً

تقر العصفير ،

والماء يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد —

التمثيل (أجدادنا الخالدون) — المعابد — أحولة القمع

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة التكاثر الحصينة .

العصفير تحلو .

رويدا

رويدا

ويظمو الإور على الماء ،

يظمو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حريفة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

هاه طوفان نوح .

أهم الحكماء ! يفرون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المراهبون —

قاضى القصة

.. ومملوكه ! —

عامل السيف — راقصة المعبد

(انتهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— حبات الصرايب — مستوردو شحات السلاج —

شوق الأميرة في سمته الأشوى الصبوح !

هاه طوفان نوح .

أهم الجناء يفرون نحو السفينة .

بها كشت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواردة المياه الجموح

يقلون ادياة على الكتفي

ويستبقون الزمن

يبتون سدود الحجارة

عنهم يقدون مهابة الصبا والخضارة

عنهم يقلون .. الوطن !

. صاح في سيد الفلدث — قبل حلول

السكية :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا بحبه ..

في الرمان الحسن

وأداروا له الظاهر

يوم احزن !

ويا نجد — بحس الدين وقصا

(وقد طمس الله اسماء !)

تتحدى الدمار ..
وتأوى إلى جبل لا يموت

(بسموه الشعب !)

تأبى العراز ..
وتأبى الزوخ !

... ..

... ..

... ..

كان قلبي الذي بسجته الحروخ
كان قلبي الذي لعنته الشروخ
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن

هادئا ..

بعد أن قال : لا ! للمسيئة
وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخي أخيرا ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أبا الطلّ ليدثني الذي رافق النوف
على إيقاعه محبوب
يا قارب المين

لنهرب لفرق اندين شتتتهم من القراصة .
وأدركتهم لعبة الفرعة .
وسة . بعد سة ..

صارث هم « حطين » ..
ثممة الطعليل ، واكسير الفيد العين

(جبل التوباد حيّاك احيا)
(ومضى الله ثرانا الأجي !)

مَرَّتْ خيولُ التُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الشُّركِ

مَرَّتْ خيولُ الملكِ — اليسر ،
مَرَّتْ خيولُ التَّيرِ الباقين

وحن — جيلا بعد جيل — في مبادئ المراهنة
نموت تحت الأحصنة !

وأنت في المذباغ ، في جرائد التهوين
تستوقف القارين

تخطب بهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقال تارة ،

وترتدى ملابس الفدائيين
وتشربُ الشاي مع الجودي

في المعسكرات الخسنة

وترفع الراية ،

حتى تسترد المدنَ المُرثية
وتطلّق النارَ على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيما الرعيم
واغتالتك أهدى الكهنة !

(وطني لو شُفِيتُ بالخلود عنه ..)
(نازعتني — مجلس الأمن — نفسي !)

ثم يا صلاح الدين
ثم .. تتدلى فوق قبرك الورود ..
كأنطيس !

وحن ساهرون في نافذة الحنين
نُقِشَ التفاح بالسكين

وبسأل الله « القروض الحسنة » !
فاتحة .
آمين .

بكائية لصقر قريش

عَمَّ صباحاً .. أيها الصقر المَجْنَحُ
عَمَّ صباحاً ..
هل ترقبت كثيراً أن ترى الشمسَ
التي تعملُ في ماء البحيرات الجراحا
ثم تلهو بكرات النج ،
تستلقي على التربة ،
سقي .. سقي !

هل ترقبت كثيراً أن ترى الشمسَ .. نتمرخ
وتسد الأفق للشرق جناحاً ؟
أنت ذا باقي على الرايات .. مصلوباً .. مباحاً

تصتر الرياحُ ، وأضلاعك كالروض المصنوخ
تتشهى لدغة الشمس التي تنسج للدفعِ وشاحاً !

أنت ذا باقي على الرايات مصلوباً .. مباحاً
— « اسقني .. »

لا يرفع الجبد سوى كوب دم .. مارال يسمع !
— « اسقني .. »

— هاك الشراب النوى ..

أشربته عذبا وقراحا
مثلما يشربه الباكون ..

والماشون في أشودة الفقر المسلخ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجبد سوى كوب دم مارال يسمع !

بيننا « السادة » في بوابة الصمت المملح

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطراف العباءات ..

يدفوا في ذراعها المسامير ..

وتبقى أنت

(ما بين نحيوط الرشي)

زرأ ذهيبا

يتأرجح !

وقف ! الأعراب ! في بواية الصميت الممنع

يشهرون الصلَف الأسود في الوجه سلاحا

ينقلون الأرض : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الحواري العربي المترجح !

ينقلون الأرض

نحو الباقلات الراسيات — الآن — في البحر

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلق في رأس الحصان

صقفة ارحمة ،

أو تمسحه بعض امتان !

عِمْ صباحاً أيها الصقر المُنْتَحِج

عِمْ صباحاً

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فلمنى يقبل موتى ..

قبل أن أصبح — مثل الصقر —

صقراً مستباحاً ؟!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. ييكى :

وصورته في ثياب الركوث ا

(٢)

قالت امرأة في المدينة

من ذلك الأموى الذى يتاكى على دم عثمان !

من قال إن الحياة تنجب غير الحياة ؟

كونوا له يا رجال ..

أمن يحبون أن يتفأ أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

ربما ردت الريح — سيدق — نصف رد

ضاع .. واهلته الرمال ا

نحن جبل الحروب ..

نحن جبل السباحة في الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومارال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جبل الألم

لم تر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا باقلم

أنا لم ننم

أنا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التي يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطن ..
واسمُ من مات من أجله

من أبح أو حبس !

هل عرفنا كتابة أسمائنا بالمداد

على كتب الدرس ؟

ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافر في حرف الحبس

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،

أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .

أو بمحداد الأرامل في ردهات (المعاشات) ،

أو بالضارب الذي يتوالى على الصور

المنزلية للشهداء

العبائر الذي يتوالى على أوجه الشهداء ..

إلى أن .. تغيب !!

قالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفص العلم القرمزي

الذي رفعته الجماجم ،

أو يبيع رغيف الدم الساخن المتخثر فوق الرمل

أو يمدّ يداً للمظالم التي ما استكانت
(وكانت رجال ..)

كفى تكون قوائم سائدة للتوقيع

أو قلماً

أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجبها أحد ..

غير سيف قديم ..

وصورة جد ا

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى اليدين
فاحتضنت لواءك بالمرقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشلولة بالسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟

أم يصل لوت ؟

قل لى ، على أباديك

من زمن الشعراء — الأناشيد

لشعراء — السجائب

من زمن الشعراء — الصعاليك

لشعراء — المماليك .

أرسم دائرة بالطباشير

لا أتجاوزها !

كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحَيْن !

والقدماني معبقتان بفحين !

أعيان الكُر والعُر

واجتازنى الخير والشر

أهيز . تيسرت ، حتى تعسرت ، حتى نعسرت .

أهيم . تيممت ، حتى تيممت ، حتى تيممت .

أين المقر ؟ وأين المقر ؟

للخفافيش أسماءها التى تسمى بها !

فلمن تسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتمي الآن للشمس

فالشمس هالائها تتحلل فوق العقالات .

هل طلع الدير من يرب أم من الأحمدى ؟

وبانت سعاد .:

تراها تبين من البردة السوية

أم من فلسوة الكاهنين الخرز ؟

واحد من جودك يا سيدى

ألف بيت بيت .

واحتوتك الكويث !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر — !

كل الأحياء يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العبر ألفة هذا الوطن

تغرب في الأرض تصبح أعرية في التابين سمي

زهور البساتين

لا زرقف في صحيف اليوم إلا أمام العاوين

مرؤها دون أن يظرف الجفن .

سرعان ما تمنح الصمحات قبيل الأخيرة ،

لتدخل فيها نجاس أحرها ،

تعود لنا ألفة الأصدقاء ، وذكرى الوجوه

تعود لنا الحبوة ، والدهشة القرضية

واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المتبقى لنا : إبه الصمت

والذكريات ، السواد هو الأهل والبيت .

إن البياض الوحيد الذى نرتجيه

البياض الوحيد الذى نتوحد فيه :

بياض الكفن !

واحد من جودك يا سيدى

حبهز تحبب صيق

ملاه بل رفق

والمعاط بعينه كالملوك ؟

واحد من جنودك يا سيدى

يركع الآن يشد جوهرة تتحبب في الوحل

أو قمرأ في البحيرات ،

أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعل الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

• تذييل •

يضم هذا الديوان القصائد الأعرية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارحه أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم يجد لهذا الديوان عنوانا أكثر صدقا من « أوراق العفة (أ) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأعرية ، والعفة رقم (أ) هي آخر العرف التي قام فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للكرام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأعرية في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتطوى على رجليها النهائية التي اكتسبت دائريها ، بعد تأملات العفة (أ) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكنيتها في مايو ١٩٨٢) و « نوبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

قصائد متفرقة

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها
 « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاهما عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يفتد
 يبدل فيها — كما دونه في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى
 درجات الفعالت البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر
 من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه .
 وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لعمود
 حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم يملك سوى أن
 يستعملها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فتراجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ .
 لا تحفل هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها
 كثير ما وجدت السيدة زوجته — عيلة الرؤسى — من قصائد هذه المرحلة إنشاقا
 ، الدلالات الأساسية التي يتطوى عليها هذا الديوان .

إلى صديقة دمشقية

إذا سالكِ قائد التار
وصرتِ محظية ...
فشد شعرا منك في سعار
واقتص عذرية ..
واغرورقت عيونك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
ولحبت في الأسوار ؟
فمن ترى يفتح عيني الليل بابتسامة النهار ؟

° ° °

مازلت رغم الصمت والحصار
أذكر عيبك المصيبة من حلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر اسمائنا النصر
ورحلة السفح الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه !

• • •

قلت — ونحن نسبل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكار
طففت على الحنى
لم تبق منى وهم ، أغنيه !
وقلت ، والصمت العميق ندقه الأمطار
على الشوارع المجهدة :
عدت إليك .. بعد طول التيه في البحار
أدفن حزلي في عمير الحاصلات الكستانية
أسهر في جناتك الخضر الربيعية
أهل ريق الشوق من غدراتها ،
أغسل عن وجهي العبار !!
نافخت عنك قائد التبار
رشقت في جواده .. مديّة
لكنني خشيت أن تمسك الأعطار
حين استعالت في الدجى الرؤبة
لذا استطاع في سحابة من الغبار
أن يحطّط العذراء .. تاركاً على يدي الأزار

كأنوهم ، كالعربه !

... ..

(.. ما بالنا نستذكر الماضي ، دعى الاطفال ..)

لا تنبش الموقى ، تعرى حرمة الأسرار ..)

... ..

ياكم تمنت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة فى الحصر .. بنية

لو علموك العزف فى القيثارة

لتطريهم كل أسـ

حتى اذا انقضت أعانيك البمشقية

تاهبوك ، القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الاكشارية

يقضون من شبائك الاوطار !

... ..

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ فى الموقد المكشود رقص النار

تستدلى الأبدى على وهج لصاق احجار

كى تولد الشمس التى تختار

فى وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظلت الأيدي تراوح الملاحق الصغيرة
وظلت الشفاه تلمق السماء !

عشاء

قصدهم في موعد العشاء
تطلعوا لي برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاحق الصغيرة
في طبق المساء
... ..
نظرت في الرعاء :
هتفت : ه ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا !
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدبرت رأسى عنه ..

لم أقو على بريق عينه الخفيف !

• • •

وحينا نعلمنى وأصدقائى فى الطريق .. موجة المرح
وتسترد روحنا فى الضحكات والقضاء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسم
فإن تجاورناه .. ألقى عشب سيجارته على الطوار
وداسه معهما ..

لم اختص ..

كانه شبح !

وفى طريق العودة الليلي .. ألقاه

ينرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .

كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح

كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

إلى أنور المعداوى

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف

مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار

يدبر فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسم — تراجم المناكب القصير

تمسح عيانه رجاج الماعدات الأبيض الشفيف ..

كانه يبحث عن أحد .

كانه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصابى الدماء .. وينساه !

.. يمر بي ؛ مدثرا بالمعطف الثقيل ،

هاديه الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه

يسأل — هامسا — عن الوقت بلا اكترث
ويختفى .

كأن احدى الشجرات احتصنه

صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفى مويحات الصبحى المشحونة المعتدلة

حين تنقر العصافير ثمار التوت ،

مستدفئة من لدعة الحريف

أجلس فى المائدة المعزلة ..

محدثا صديقتى ..

فى ذلك المقهى الربيعى الأليف

— حيث يمر النيل راحيا مغنيا

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشمين من عصير الكلمات . والنهار

معتقير فى صوائر الحروف .

وصحاة ..

يسقط من يدى القدح !

أهه ممدا ساقيه فى مائدة المقايبة

يرمقنى من حيف بطارته السوداء خفية ،

محبيا بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهمة !

• • •

وعندما دخلت « باراداي » فى اليوم الاخير

رأته .. يجترى المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويتمتع الصنبور

مشعث الشعر ، يضج قلبه بالرعب واللاهات

تساقطت — قبل اعتسائه — على احووس البقى بقعة

بكه لم يكثرث !

رجل فى المرأة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدقاى الصفر

قلبا عيين ثعلبتين في الوجوه ، صامتا
ومحاة ..

ألقى إليها ورقة دون إكتراث
ودون أن يلتفتا :

مضى إلى الخارج ..

ناركا على المنضدة الحبرى بهاتفه

.. كانت بهافة سوداء ..

..

.. ومات في المساء !

لا أبكي

مصر لا تبدأ من مصر القرية
إنها تبدأ من أحجار طيبة :

قدم ماء على الأرض الجديدة .
خلعته . رقت الشمس تقويه .

في الواحد ، في الثبات الرجعية .
إنها ليست عصوراً فهي الكفل

أرضها لا تعرف الموت فما الموت إلا عودة .. أخرى .. قريبة .
حولها الرقص وأعياد الخصوبة

وتسترد ماء في الوادي دروبه .
وأسترد الماء في مصر العلوية .

ظلم البحر إذا ما مد كونه !
فمضى النيل به — ثانية —

هكذا شعلت بامصر له
مات فيه الموت يوما . فابنى
أبدا يبنى ويألف غيره
فلذا راح أبنتى لم ابنتى
وكان الدل في الشعب صريخة
وكان الدم بيل آخر
كل أبنائك بامصر مصوا
الذى لم يقص في الحرب قصي
واندى لم يقص في الفأس قصي
اسمى في الليل أنات الأسي
أها أسماء من ماتوا وم
سيمودون ، فلا تيكى ، فما
أترى تيكى من مات لكى
والذى مات لكى يمشى في
ولكى يختص الطفل حفية
ولكى يهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء وبجواه الرطبة
هرما للموت يستجل غيابه
ناشرا فيه أساء وحروبه
فانشى العازى اليه بالعقوبة ا
وأشسام الصبر قد صار ديوه
تستقى من الرمال المستطية
شهداء العبد في بل وطية
وهو يعطى الفأس والعرس وجهه
حاملا أحجار اسوان الزهية
اسمى حزن المواويل الكمية
يرحوا القلب فقد صاروا ملوبة
يرتضى الغيوب ان تكي الحية
تستعبدى ربة الفكر السلية
كل قلب ناشئ حرف العروبة
ولكى تفتات بالعلم الطيبة
روح ربات الطحال المسترية

ولكى يرفع سيف العدل في
والدى لولاه مامرت لسا
أترى تيكى بامصر ؟ أسا
شرف الأبناء أن يمضى أب
شرف للأب أن يمضى فلا
أما ييكى صراف اساس ان

وجه أساء اسمالك الغربية
— في عبور النار للحرب — كتيبة
لست أبكيه وان كنت ربيبه
بعد أن قدم للمجد نصيبة
تعرى أساءه الروح الرغبة
عجروا ان يدركوا حجم النصيبة

م ١٩٧٣

العراف الأعمى

قولى من أين ؟

الصمت مسمدا ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدحلى السرداب

(قدمائى سيتهما عند الاعتاب

ويدائى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(يمشا عن انسان آخر)

حتى تتأكل فى قدميه الأرض ،

وينوى من شففيه القول !

الآف الأوجه فى وجهى ..

لكلك لا تدريين

أى وجوه تبدل منها بسمات الزيف

ضالعة المعنى ، متأكلة الالف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتهجراً فى المرأة .

يصفحنى وجهى المتحفى بقناع الذل

أصفحه .. أصبع هذا الظل

تحل الناس بفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظننى

يسل ملى ، يتمدد فوق وسادى المبتل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يحسح عنى عرقى فى هذا اليوم الصائف ؟

والظل الخائف

يتمدد من تحتي ، يفصل بين الأرض .. وبسي

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. باء .. هاء)

الحرف السيف

مارلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموتى والموتى الأحياء

حتى يتردد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأعيرا عدت

أحمل في صدري صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجدوى الساعة في قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بذول كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أصية .. كقطيعة نحاس :

« لم تولد لهر الدنيا »

« لم تخلق لنحوض معارك »

« نحن ولدنا ..

للأفهام ..

للأحلام ..

للصلوات . »

صميت في صدرك .. حتى اتيت

وأن لا أكتب .. أو أقرأ !!

أنشى وحيدة .. تلذ .

... وأتخذ الجيران للسكون .

وقطعهم بحس — فى الشباك — داس العيون

بلعق فى فراشه المنقط الناص

بلعق — عن فراشه — عذاب قطتى الممتد

.. سعت اليه دات ليلة ،

ولم تسله ثوباً للرهاب !

لأن ثوب العرس

— فى معارض الأرياء —

نحمة تدور فى سرب !!

نحمة السراب

صديقتى شددت على يدي .

وقالت . لى أزور عزفتك

إن شئت .. فلنلق معاً إلى الأبد .

ولم أرد

لأن ثوب العرس — فى معارض الأرياء —

نحمة تدور فى سراب .

ولم أزل أدق باهاً بعد بات

وخطوق تنهيدة ، وأعيني ضباب

حتى بلغت غرفتى فى آخر المطاف

وقطتى تلذ ..

مولوها : عذاب أنشى ليلة المخاصن

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت اهادىء عبد النهر
ان يسقط حاتمنا في الماء
ويصيح يصيح مع التيار
وتعرقنا الأيدي السوداء
ويسمر على طرقات النار ..
لا نجرؤ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة حلف النهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
تخاصم فيه ويصطليح
دقات الساعة واهتفول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو يسمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا نهر
لو دمت لنا ..
أو دام النهر

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر ٤٣ .

الاهداء ٤٥ .

براءة ٤٧ .

طفلتها ٥٠ .

المطر ٥٧ .

قلبي والعيون الخضراء ٦٠ .

يا وجهها ٦٥ .

مقتل القمر ٦٨ .

شيء يحترق ٧٢ .

قالت ٧٥ .

ماريا ٧٧ .

استريح ٨٢ .

العار الذي نتقيه ٨٥ .

رسالة من الشمال ٨٧ .

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيرة
١٦٩	أشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الأخير
١٨٠	حديث خاص مع أبي موسى الأشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبي
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يلقي بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	أوتوجراف
٩٤	شبيبته
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الأخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	أيلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

اقوال جديدة غن - سرب البسوس ٣٢١...

مقتل كليب ٣٢٣.....

لا تصالح ٣٢٤.....

اقوال اليمامة ٣٣٧.....

مراثي اليمامة ٣٤١.....

اشارات تاريخية ٣٤٩.....

تذييل ٣٥٤.....

اوراق الغرفة (٨) ٣٥٧.....

الورقة الاخيرة الجنوبي ٣٦٠.....

ضد من ٣٦٨.....

زهور ٣٧٠.....

السري ٣٧٢.....

لعبة النهاية ٣٧٥.....

ديسمبر ٣٧٨.....

الطيور ٣٨٣.....

الوقوف على قدم واحدة ٢١٨.....

رباب ٢٢١.....

حكاية المدينة الفضية ٢٣٣.....

الضحك في دقيقة الحداد ٢٤١.....

الموت .. في الفراش ٢٤٨.....

لا وقت للبكاء ٢٥٥.....

العهد الآتي ٢٦١.....

صلاة ٢٦٥.....

سفر التكوين ٢٦٧.....

سفر الخروج ٢٧٤.....

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس ٢٨١.....

سفر الف دال ٢٨٦.....

مزامير ٢٩٨.....

من اوراق ابو نواس ٣٠٨.....

رسوم في هو عربي ٣١٥.....

خاتمة ٣١٨.....

٣٨٧	الخيل
٣٩٣	مقابلة خاصة مع ابن نوح
٣٩٧	خطاب غر تاريخي على قبر صلاح الدين
٤٠٠	بكاية لصقر قریش
٤٠٤	قالت امرأة في المدينة
٤٠٨	الى محمود حسن اسماعيل في ذكره
٤١٣	تذييل
٤١٥	قصائد متفرقة
٤١٧	الى صديقة دمشق
٤٢٢	عشاء
٤٢٤	البطاقة السوداء
٤٢٩	لا أبكيه
٤٣٢	العراف الاعمى
٤٣٦	نجمة السراب
٤٣٨	ايديم النهر